

من مقاصد الحج

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام

(٤)

تعديل من مقاصد الحج ١١/٣/١٤٣٧ هـ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..
وبعد : فإن للحج مقاصد عالية وأهدافاً سامية
وذلك في مجالات كثيرة منها إقامة ذكر الله جل وعلا
والتذكير بالآخرة ، وتقوية الإيمان بالله تعالى ، وتهذيب
الأخلاق ، وتثبيت الأخوة الإسلامية ، وتعظيم مكة
المكرمة والمشاعر المقدسة ، وإني في هذه الكلمات الموجزة
أحب أن ألقى الضوء على هذه المقاصد والأهداف من
باب التذكير ولفت النظر إلى الاعتبار والحرص على
الاستقامة على الطريق المستقيم .

(٦)

تعديل من مقاصد الحج ١١/٣/١٤٣٧ هـ

- الكعبة المشرفة والحج في التاريخ القديم -

إن مما جاء في الكعبة المشرفة والحج في التاريخ القديم ما أخرجه الإمام البخاري من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : « .. ثم جاء بها - يعني هاجر - إبراهيم وبإبنتها إسماعيل - وهي ترضعه - حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاءً فيه ماء ، ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ، فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت : الله أمرك بهذا ؟ قال: نعم ، قالت: إذن لا يضيعنا ثم رجعت » .

وهذا يبين لنا أن هذه الهجرة كانت بأمر الله تعالى لينشأ إسماعيل عليه السلام بمكة المكرمة وتعمّر به، ويتم

بناء الكعبة بعد ذلك ، ثم تكون عبادة الحج إليه .
وقد نفذ إبراهيم عليه السلام هذا الأمر الإلهي مع
مشقته على نفسه ، حيث سيضع زوجته وابنه الوحيد في
فلاةٍ من الأرض ليس بها ماء ولا طعام، ولكنه أمر الله
تعالى ، وإبراهيم يوقن بأن الله سبحانه لن يضيع إسماعيل
وأمه وأن وراء ذلك الأمر حكماً عظيمة، وقد أخرج ابن
إسحاق من خبر مجاهد وغيره « أن الله لما بوأ لإبراهيم
مكان البيت خرج بإسماعيل وهو طفل صغير وأمّه ،
قال: وحملوا فيما حدثت على البراق »^(١) .

وقد كان إبراهيم عليه السلام قد وقع في هذه
الهجرة بين أمرين ضاغطين على إرادته وسلوكه، أولهما
تنفيذ أمر الله تعالى ، والآخر مواجهة مشاعر الرحمة
والحنين نحو زوجته وابنه ، وما قامت به هاجر من اتباعه
ومناشدته عدم تركهما وحدهما في ذلك الوادي القفر .

(١) فتح الباري ٤٠١/٦ .

ولم يكن هناك أي مقارنة بين الضاغطين، لأن إبراهيم عليه السلام لم يخرج بهاجر وابنها من الشام إلا وهو يريد تنفيذ أمر الله عز وجل في كل الظروف التي ستحدث، ومما يبين كون الأمر الثاني قد شكّل ضغطاً قويا على نفسه أنه لم يلتفت إلى هاجر وهي تناشده حتى لا يكون لمنظرها ومنظر ولدها المحزن أثر على تكييف إرادته .

وفي هذا الحديث بيان لقوة توحيد هاجر رحمها الله ورسوخ يقينها ، حيث قالت لما علمت بأن تلك الهجرة من أمر الله تعالى « إذن لا يضيعنا » .

قال :«فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنْ

النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقُهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾
[إبراهيم : ٣٧] ، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل
وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت
وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه وهو يتلوّى ، فانطلقت
كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في
الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر
هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، فهبطت من الصفا ، حتى
إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي
الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي^(١) ، ثم أتت المروة
فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ،
ففعلت ذلك سبع مرات ، قال ابن عباس : قال النبي ﷺ
فذلك سعي الناس بينهما ، قال : فلما أشرفت على

(١) وإنما فعلت ذلك لأن ابنها يغيب عن ناظرها إذا هبطت في الوادي،
فهي تخاف عليه من السباع .

المروة سمعتُ صوتًا فقالت: صِهْ - تريد نفسها، ثم
تسمعتُ أيضًا فقالت : قد أسمعتَ إن كان عندك غَوَاثُ،
فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه - أو قال
بجناحه - حتى ظهر الماء ، فجعلت تُحَوِّضُه [أي تجعله
حوضا] وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في
سقائها وهو يفور بعدما تغرف .

قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : يرحم الله أم
إسماعيل لو تركتُ زمزم - أو قال : لو لم تغرف من
الماء - لكانت زمزم عينا معينا .

قال : فشربتُ وأرضعتُ ولدها، فقال لها الملك :
لا تخافوا الضيعة فإن ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام
وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله ، وكان البيت مرتفعا من
الأرض كالرابية ، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله .
وهكذا تبين لنا من هذا الحديث أصل تشريع
السعي بين الصفا والمروة والحكمة من ذلك ، وأن هذا

النسك من باب التأسى بأم إسماعيل عليهما السلام
اللذين ينتسب إليهما رسول الله ﷺ ، حيث سعت بين
الصفاء والمروة سبع مرات ، وأسرعت في الوادي، فشُرع
في الحج السعي بينهما سبع مرات والإسراع بين العلمين
الأخضرين اللذين هما إشارة إلى الوادي في وضعه
القديم.

ولقد تبين لنا في الحديث علاقة السماء بالأرض،
والارتباط الوثيق بين من في السموات ومن في الأرض،
وأن المؤمن التقي موصول بربه جل وعلا، وأنه سبحانه
مع أوليائه المؤمنين إذا صدقوا معه بنصره وحمايته وعنايته،
وقد كان إبراهيم عليه السلام موقناً بأن الله تعالى لن
يضيع تركته التي خلفها وراء ظهره .

لقد كان أولياء الله عز وجل يسرون في الأرض
ويعملون بالأسباب التي شرعها سبحانه مع يقينهم بقربه
منهم ولطفه بهم ، وهكذا فعلت أم إسماعيل حينما
كررت صعود الصفاء والمروة والسعي بينهما وكلها ثقة

بأنها ووليدها موصولان بعناية الله جل وعلا، الأمر الذي عبّرت عنه بقولها « إذن لا يضيعنا » .

إن السعي بين الصفا والمروة تذكير بهذه المعاني الجليلة .. من الثقة التامة بالله عز وجل ، وتذكر إحاطته بخلقه وأنهم في كنفه جل وعلا وحياطته ، مع بذل الجهد في عمل الأسباب التي خلقها الله سبحانه وجعلها موصلة لغاياتها .

إن الحاج حينما يتذكر هذه المعاني السامية يُضفي على سعيه بين الصفا والمروة قدراً كبيراً من الحيوية والطمأنينة ، ويجعل من هذا النسك فاعلاً قوياً في زيادة إيمانه ورسوخ يقينه .

قال ابن عباس في سياق روايته « ثم جاء- يعني إبراهيم- بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ، ثم قال : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني ؟

(١٣)

قال: وأعينك ، قال : فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتا -
وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها - قال : فعند ذلك
رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يناوله الحجارة
وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر
فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يأتي بالحجارة
وهما يقولان ﴿ رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
[البقرة : ١٢٧] قال : فجعلنا بيننا حتى يدورا حول
البيت وهما يقولان ﴿ رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴾^(١) .

فالله سبحانه أمر إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة
وأرشده إلى مكانها بالتحديد .

وقوله في هذا الحديث « رفعا القواعد من البيت »
قال الحافظ ابن حجر : في رواية أحمد عن عبد الرزاق عن
معمر عن أيوب عن سعيد عن ابن عباس : « القواعد

(١) صحيح البخاري ، رقم ٣٣٦٤ ، ٣٣٦٥ (٦/٣٩٦ - ٣٩٨) .

التي رفعها إبراهيم كانت قواعد البيت قبل ذلك « قال:
وفي حديث عثمان وأبي جهم « فبلغ إبراهيم من الأساس
أساس آدم ، وجعل طولهُ في السماء تسعة أذرع ،
وعرضه في الأرض - يعني دوره - ثلاثين ذراعاً » وكان
ذلك بذراعهم .

قال الحافظ ابن حجر : ومن طريق عطاء قال: «قال
آدم يارب إني لا أسمع أصوات الملائكة، قال: ابن لي
بيتاً ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحفُّ بيتي الذي في
السماء » . قال : وفي حديثه - يعني أبا جهم - أيضاً :
«إن الله أوحى إلى إبراهيم أن اتبع السكينة، فحلقتُ على
موضع البيت كأنها سحابة فحفروا يريدان أساس آدم
الأول » .

وكان البيت قد تهدم واندثر الأساس أيام الطوفان
الذي كان في عهد نوح عليه السلام ^(١) .

(١) فتح الباري ٤٠٦/٦ .

وقوله « وحتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر »
قال الحافظ ابن حجر: يعني المقام، وقال: زاد في حديث
عثمان « ونزل عليه الركن والمقام، فكان إبراهيم يقوم
على المقام يبني عليه ويرفعه له إسماعيل ، فلما بلغ
الموضع الذي فيه الركن وضعه يومئذ موضعه، وأخذ
المقام فجعله لاصقا بالبيت، فلما فرغ إبراهيم من بناء
الكعبة جاء جبريل فأراه المناسك كلها، ثم قام إبراهيم
على المقام فقال : يا أيها الناس أجيئوا ربكم، فوقف
إبراهيم وإسماعيل تلك المواقف ، وحجَّه إسحاق وسارة
من بيت المقدس ، ثم رجع إبراهيم إلى الشام فمات
بالشام» قال : وروي الفاكهي بإسناد صحيح من طريق
مجاهد عن ابن عباس قال : « قام إبراهيم على الحَجَر
فقال: يا أيها الناس كتب عليهم الحج ، فأسمع من في
أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فأجابه من آمن ومن

سبق في علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة : لبيك اللهم
لبيك «^(١) .

وهذا هو المقصود بقول الله تعالى ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ
بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فِجٍّ
عَمِيقٍ ﴾ [الحج : ٢٧] يعني يأتون مشاة وراكبين على
الإبل التي تأتي من كل طريق بعيد .

وكان أهم ما أمر الله عز وجل به إبراهيم
وإسماعيل عليهما السلام أن يطهرا بيته وما حوله من
جميع أنواع الشرك ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ
مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج ٢٦] وقال
سبحانه ﴿ وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ

(١) فتح الباري ٤٠٦/٦ .

وَالْعَٰكِفِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ [البقرة : ١٢٥] فأمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت على اسمه وحده من غير أي شريك ، ثم أمره وابنه إسماعيل عليهما السلام أن يطهرا البيت وما حوله من جميع الأوثان وأن يجعلاه خالصا للموحدين الذين يعبدون الله سبحانه وحده لا شريك له ، ويعمرون بيته بالطواف والعكوف والقيام بالصلاة حوله .

ثم دعا إبراهيم عليه السلام لأهل مكة المكرمة بالأمن والرزق الواسع كما في قول الله عز وجل ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ [البقرة : ١٢٦] وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية : كان إبراهيم يحجرها على المؤمنين دون الناس ، فأنزل الله : ومن كفر أيضاً أرزقهم كما أرزق المؤمنين ، أخلق خلقاً لا أرزقهم ؟ أمتعهم

قليلا ثم أضرهم إلى عذاب النار وبئس المصير، ثم قرأ
ابن عباس ﴿ كَلَّا تُمَدُّ هَتُوْلَاءِ وَهَتُوْلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ
عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾^(١).

هذا وقد سبق لنا خبر إبراهيم حين وضع إسماعيل
وأمه عليهم السلام قرب الكعبة وما جرى من نبع ماء
زمزم ، وقد كان إبراهيم عليه السلام يزورهما بين الحين
والآخر، وفي إحدى زيارته ذكر لإسماعيل عليه السلام
رؤياه في المنام التي ذكرها الله سبحانه بقوله ﴿ فَبَشِّرْنَهُ
بِعُلْمٍ حَلِيمٍ ﴾^(١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ
أَنِّي أَدْبَحُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَى^ع قَالَ يَتَّابِتُ أَعْمَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ
شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾^(١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾^(١٠٣) وَنَدَيْنَاهُ أَنْ
يَتَّبِعْهُمَا^ع ﴿ ١٠٤ ﴾ قَدْ صَدَّقَت الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَّاكُ بَجَزَى الْمُحْسِنِينَ ﴾^(١٠٥)
إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمُبِينُ ﴾^(١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾^(١٠٧) وَتَرَكْنَا

(١) تفسير ابن كثير ١/ ١٨٠ .

عَلَيْهِ فِي الْأَخِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنَّ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ [الصفات : ١٠١ -
١١١] وهذا الغلام الحليم الذي بشر الله عز وجل به
إبراهيم هو إسماعيل عليهما السلام .

قال الحافظ ابن كثير : وهذا الغلام هو إسماعيل
عليه السلام فإنه أول ولد بُشر به إبراهيم عليه السلام ،
وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل
في نص كتابهم أن إسماعيل عليه السلام ولد لإبراهيم
عليه السلام ست وثمانون سنة ، وولد إسحاق [عليه
السلام] وعمّر إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع
وتسعون سنة ، وعندهم أن الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم
أن يذبح ابنه وحيداً ، وفي نسخة أخرى : «بكره» ،
فأقحموا ههنا كذباً وبهتاناً إسحاق ، ولا يجوز هذا لأنه
مخالف لنص كتابهم ، وإنما أقحموا إسحاق لأنه أبوهم
وإسماعيل أبو العرب ، فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا

وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره ، فإن إسماعيل ذهب به وبأمه إلى مكة ، وهو تأويل وتحريف باطل ، فإنه لا يقال وحيدك إلا لمن ليس له غيره .

كذلك ذكر من الأدلة قوله تعالى ﴿ فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود: ٧١] فكان وجود يعقوب ابن إسحاق داخلا في البشارة ، ولا يمكن أن يؤمر إبراهيم بذبح ولده إسحاق وهو صغير مع وجود هذه البشارة^(١) .

وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ أي كبر وصار يسعى مع أبيه ، وذلك يكون عادة بعد سن الطفولة ﴿ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما « رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ فِي الْمَنَامِ وَحْيٍ »^(٢) ولذلك اعتمد إبراهيم عليه السلام أنه مأمور بذبح ولده

(١) تفسير ابن كثير ١٦/٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٦/٤ .

من الله عز وجل ، وهكذا أخبر ابنه بذلك ليكون تنفيذ الأمر أيسر عليه فيما إذا سلم له ابنه، وليحصل ابنه على أجر الطاعة والصبر ﴿ قَالَ يَا بَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ وهكذا استسلم إسماعيل لأمر الله تعالى مع صغر سنه وهذا دليل على قوة إيمانه ورسوخ يقينه ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ أي استسلما لأمر الله تعالى طاعة له ورضا بقضائه وقدره ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ أي أكبه على وجهه ليدبجه من قفاه ولا يشاهد وجهه حتى لا تغلبه عاطفة الرحمة به ﴿ وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّيَّاءَ ﴾ أي قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي هكذا نصرنا عن عبادنا الذين أحسنوا العمل بطاعة ربهم جل وعلا المكاره والشدائد ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا ، ولقد كان ذلك ابتلاءً عظيماً واختباراً كبيراً لإبراهيم وإسماعيل عليهما

السلام ، ولذلك قال تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمُبِينُ ﴾ (١٦)
وَقَدَيْتَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿ وهو الكبش المذكور في هذا الخبر ،
وقد رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :
«كَبَشٌ قَد رَعَى فِي الْجَنَّةِ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا» (١) .

وقد جاء في هذا الأثر أن الشيطان عرض لإبراهيم
عليه السلام ليحول بينه وبين تنفيذ أمر الله تعالى في ذلك
فرماه بسبع حصيات في مكان الجمرات في منى ، وجاء
في أول الأثر أن جبريل عليه السلام ذهب بإبراهيم عليه
السلام ليريه المناسك فعرض له الشيطان في مكان
الجمرات فرماه بسبع حصيات ، والظاهر أن هذا بعدما
كبر إسماعيل وقام بمساعدة والده في بناء البيت عليهما
السلام .

وهكذا الشيطان الرجيم يحاول جاهداً أن يصد

(١) تفسير ابن كثير ٤/١٨ .

أولياء الله تعالى عن عبادته ومعرفة مشاعره التي أمر بتعظيمها وعبادته حولها ، وهي سلسلة من المعركة القديمة بين الشيطان والإنسان ، التي بدأت بمحاولة الشيطان إغواء أبينا آدم عليه السلام ، وإذا كان الشيطان يقوم بمحاولة إغواء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإن طمعه في إغواء أتباعهم من المؤمنين أولى وأحرى ، ولقد سن لنا أبونا إبراهيم عليه السلام هذه السنة الحسنة في محاربة الشيطان ورد كيده .

وما يزال الشيطان الرجيم يوقع بني آدم في مختلف الغويات والضلالات ، فالكفار يصددهم عن الدخول في الإسلام بتضخيم الشبهات التي يثيرها شياطين الإنس ، وضعفاء الإيمان يزين لهم الشهوات والمعاصي ويكرههم في الطاعات ، وأقوياء الإيمان يحاول أن يدخل عليهم من أبوابٍ منها الإعجاب بالنفس والاعتداد بالعمل .

وهذه الجمرات الثلاث فرصة للمسلم الحاج وهو

يرميها أن يتذكر عداوة الشيطان القديمة الجديدة لبني آدم
وأن يكون حاضر القلب مع تعظيم الله تعالى وتحقير
الشيطان .

وهذا الهدف ليس المقصود منه تذكُّر عداوة الشيطان
في تلك المواقف فقط ، وإنما هي مجرد تذكير، والمطلوب
من الحاج أن يستصحب تذكُّر هذه العداوة بعد ذلك،
فيكون هذا التذكر عاصماً له من وساوس الشيطان .

- تعظيم مكة المكرمة والمشاعر المقدسة -

لقد حدد الله تعالى لإبراهيم عليه الصلاة والسلام الحرم الشريف حول مكة المكرمة فعظمه وقُدَّسه ، وأكَّد تعظيمه أبونا إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، ثم توارث العرب بعد ذلك هذا التعظيم والتقديس ، ولما بُعث رسول الله ﷺ أكَّد ذلك بما أوحى الله تعالى إليه، ومن ذلك قوله جل وعلا ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا قَامَ إِبْرَاهِيمٌ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴿٩٧﴾ [أَلْ عَمْرَان : ٩٦ - ٩٧] .

فقوله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ يعني شُرع لعموم الناس تقديسه والتوجُّه إليه حال الصلاة والطواف به والاعتكاف عنده ﴿ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ يعني مكة وهو اسم من أسمائها ، وقد بنى الكعبة إبراهيم الخليل عليه السلام ونادى الناس إلى حجه ﴿ مُبَارَكًا ﴾ لساكنيه وقاصديه ،

وقد أخرج الإمام البخاري من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : « قلت : يارسول الله أيُّ مسجد وُضع في الأرض أول ؟ قال : المسجد الحرام ، قال : قلت : ثم أيُّ ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : كم كان بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، ثم أينما أدركتكَ الصلاة بعدُ فصلَّهُ فإن الفضل فيه » ^(١) .

ثم قال تعالى ﴿ وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾ أي لعموم الناس من عهد إبراهيم عليه السلام حيث أمر بتقديسه والحج إليه، فكان ذلك واجبا على اليهود والنصارى الذين يزعمون أنهم على دينه، ولكنهم أنكروا قدسية هذا البيت ولم يُنفذوا أمر إبراهيم عليه السلام بالحج إليه، وبقي الحج إليه عند العرب، وذلك مما ورثوه من دعوة إسماعيل عليه السلام ، إلى أن بعث الله عز وجل رسوله محمدا ﷺ فدعا العالمين إلى تقديسه والحج إليه .

(١) صحيح البخاري ، رقم ٣٣٦٦ (٦/٤٠٧) .

ثم قال تعالى ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ أي دلالات ظاهرة على أن هذا البيت من بناء إبراهيم عليه السلام ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ أي الصخرة التي كان يصعد عليها حين بنى البيت حيث إن أثر قدميه في المقام ظاهرة كما قال المفسرون من التابعين، وفي ذلك يقول أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة التي دافع فيها عن النبي ﷺ وأظهر حمايته وتحدى مخالفيه :

(١) وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعل

ثم قال تعالى ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ أي ومن دخل الحرم بحدوده المعروفة كان آمناً على دينه ونفسه وعرضه وماله ، وهذا الأمن مترتب على اعتقاد ساكنيه والوافدين عليه بجرمته وقداسته ، ومما ينتج عن ذلك أن مكة المكرمة وسائر نواحي الحرم ليست بحاجة إلى حماية الأمن بها من

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/٢٧٣ .

قبل المسؤولين لأن الوازع الديني الذي يفرض تقديس الحرم يجب أن يكون مسيطراً على النفوس فيمنعها من أن تستجيب لنزواتها المنحرفة .

وقد كان هذا الوازع مسيطراً على العرب في الجاهلية على الرغم من أنهم لم يكونوا على دين صحيح، وإنما توارثوا تقديس هذا الحرم الذي كان من الآثار الباقية لدعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وعمق ذلك في نفوسهم أن هذا البيت لم تصل إليه يد جبار من الجبابرة على الإطلاق، وما حادثة أصحاب الفيل منهم بعيد ، بينما وصلت أيدي الجبابرة إلى المسجد الثاني الذي كان مقدساً عند الأنبياء عليهم السلام وهو بيت المقدس .

ولقد كان القاتل من العرب يلجأ إلى الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يتعرض له ولا يهيجه حتى يخرج من الحرم، وإذا كان هذا شأن صاحب الثأر الذي تُلزمه الأعراف الاجتماعية بأخذ الثأر فمن باب أولى أن يمتنع

عن الاعتداء من كان في نفسه ميل إلى الظلم .
ولقد جاءت هذه الجملة من الآية في سياق تعداد
آيات الله تعالى الدالة على وحدانيته جل وعلا، فهو
سبحانه الذي غرس في قلوب العرب جميعا تقديس هذا
البيت واحترام الأمن فيه، وإن جَمَعَ العرب على عقيدة
واحدة مع اختلاف مشاربهم وتضخُّم العداوة فيما بينهم
لا يمكن أن يكون إلا من عند الله تعالى .

هذا وإن أي إخلال بالأمن داخل الحرم في مكة وما
حولها يعدُّ تعطيلًا لمدلول هذه الآية من قِبَل المسلمين
بعدما كان مطبقًا من قِبَل المشركين، وهذه منقصة كبيرة
ومساءة عظيمة في سمعة المسلمين .

ولقد امتنَّ الله تعالى على المشركين بهذه النعمة،
وجعلها آية من الآيات التي يجب أن تدفعهم إلى الإيمان
بهذا الدين لو كانوا يعقلون ، حيث يقول عز وجل
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ^٤

أَفِئَّةً لِبَطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿ [العنكبوت : ٦٧]
كما بين لهم سبحانه أنه هياً لهم مكاناً صالحاً لقيام حياتهم
الهادئة ، حيث توافر فيه أهم عناصر الحياة السعيدة، ألا
وهو الأمن ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ
وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴿ [المائدة : ٩٧] فالبيت الحرام مأوى
مكاني يلجأ إليه الخائفون ويأمن فيه المقيمون ، والأشهر
الحُرْمُ مأوى زماني يستروح الناس فيها حياة الأمن
ويتفرغون لإصلاح شؤون حياتهم ويستطيعون القيام
بالسفر البعيد الذي لم يكونوا قادرين عليه في غير الأشهر
الحرم ^(١) .

(١) والأشهر الحرم أربعة كما جاء في قول رسول الله ﷺ : « السَّنَةُ اثْنَا
عَشْرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ: ثَلَاثٌ مَتَوَالِيَاتٌ، ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ
وَالْحَرَمِ، وَرَجَبٌ مُضَرٌّ الَّذِي بَيْنَ جَمَادَى وَشَعْبَانَ » أخرجه الإمام
البخاري ، رقم ٤٦٦٢ ، وقوله «ورجب مضر» قال الحافظ ابن
حجر: أضافه إليهم لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه بخلاف غيرهم-
فتح الباري ١/ ٣٢٥- .

وبهذا المأوى المكاني وذلك المأوى الزماني استطاع
أهل مكة أن ينعموا بنعمة الأمن من الخوف ونعمة
الحصول على لوازم الحياة المعيشية ، كما قال الله جل
وعلا ﴿لِيَلْفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيْلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِّتَاءِ
وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي
أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١ - ٤] .
وإننا حينما نستعرض تاريخ المسلمين نجد فرقا
شاسعا بين واقعهم ومدلول هذا الآيات ، فالمسلمون في
هذا الحرم الشريف لايشعرون بالأمن الكامل على
أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ، حيث أصبح الوضع
يحتاج إلى حماية من قوات الأمن كأى بلد آخر ، ونجد
بعض المسلمين قد هبط مستواهم في الوازع الديني فيما
يتعلق بقدسية الحرم و احترام الأمن فيه عما كان عليه
أهل الجاهلية ، بينما كان المفترض أن يتضاعف لدى
المسلمين الشعور بقدسية الحرم واحترام الأمن فيه لما

ورثوه عن أسلافهم ، ولما جاء من تعظيم الحرم والأمر
باحترام الأمن فيه في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ،
فإن مدلول هذه الآية يقتضي أن من دخل منطقة الحرم
كان في منطقة أمان لا يحتاج فيها إلى أخذ الحيطة والحذر
لنفسه .

وإن من مقاصد الحج تعظيم مكة المكرمة والمشاعر
المقدسة ، ولقد عظم النبي ﷺ شأن مكة المكرمة ، وبيّن
فضلها على سائر بقاع الأرض بقوله « والله إنك لخير
أرض وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت
منك ما خرجت»^(١) أخرجه الدارمي وابن ماجه .
وهذا يضيفي على مكة المكرمة قداسة ترسخ حرمتها
ومكانتها .

(١) سنن الدارمي ، رقم ٢٥١٠ (٣١١/٢) ، سنن ابن ماجه ، رقم
٣١٠٨ (١٠٣٧) .

ولقد بيّن النبي ﷺ حرمتها بالتفصيل يوم فتح مكة ،
حيث قال : « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات
والأرض ، فهو حرام بجرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم
يجل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يجلب لي إلا ساعة من
نهار ، فهو حرام بجرمة الله إلى يوم القيامة ، لأعضد
شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ،
ولا يختلي خلاه» متفق عليه ^(١) .

فالقتال في مكة المكرمة محرم مطلقا لم يجلب لأحد إلا
لرسول الله ﷺ ساعة من نهار ، ليظهر مكة من الشرك
والأصنام وغير ذلك من مظاهر الجاهلية ، ومع ذلك فإن
رسول الله ﷺ قد تفادى بحكمته العالية القتال ، فلم يقع
إلا بصورة يسيرة بين الكفار وفرقة من جيش المسلمين .

(١) صحيح مسلم ، رقم ١٣٥٣ (ص ٩٨٦) ، صحيح البخاري ، رقم
١٠٤ ، (١/١٩٧) .

وقد أكد النبي ﷺ حرمة القتال في مكة المكرمة في هذا الحديث ، بل إنه في حديث آخر حرم مجرد حمل السلاح في مكة حيث يقول : « لا يجلب لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح » أخرجه الإمام مسلم من حديث جابر رضي الله عنه ^(١) .

وذلك حتى لا يستعمله حامله في ساعة غضب يحضر فيها الشيطان ، وحتى لا يكون في ذلك ترويع للمسلمين الآمنين ، وفي هذا دلالة على أن أي تصرف ينتج عنه ترويع المسلمين فإنه محرم، وإن كان الهدف منه لا يتضمن الاعتداء على الآمنين ، فكيف إذا نتج عنه استعمال السلاح داخل الحرم !؟

فالنبي ﷺ حرم حمل السلاح حتى للدفاع عن النفس، لأن المفترض شرعا أن يكون الناس آمنين في مكة، حيث إن الكفار ممنوعون من دخولها ، فكون

(١) صحيح مسلم ، رقم ١٣٥٦ (ص ٩٨٩) .

المسلمين لا يأمنون في مكة من اعتداء المسلمين عليهم
انتكاسة كبيرة في الوعي الديني .

ولكن حينما لا يتوافر الأمن في مكة المكرمة
ويصبح الناس فيها بحاجة إلى حراسة وحماية فإن الضرورة
تستدعي جواز حمل السلاح لمن كلفوا بحماية الأمن فيها .
ولقد بين النبي ﷺ في الحديث السابق أن حرمة الحرم
لا تقتصر على أمن الناس فيه على أرواحهم ، بل تتجاوز
ذلك إلى الحفاظ على ممتلكاتهم ، وما أودع الله تعالى فيه
من حيوان أو نبات .

فالذي يسقط منه شيء بدون علمه يبقى في مكانه
لا يحركه أحد حتى يرجع إليه صاحبه إلا رجلا على
استعداد بأن يُعرفه ويبحث عن صاحبه من باب فعل
المعروف ، حيث أنه لا يملكه وإنما يبقى من حق صاحبه .
والصيد فيه آمن لا يجد من يُروّعه ، فضلا عن أن
يلحق به الأذى ، حتى نبات الحرم الذي لم يغرسه
الإنسان يبقى على حاله لا يحركه أحد وإن احتاج إليه إلا

ما استثنى النبي ﷺ وهو شجر الإذخر لاحتياج الناس إليه
آنذاك .

وإذا كان الحيوان في مكة المكرمة يبقى في أمن
وأمان، والنبات لا يعتدي عليه أحد فكيف بجرمة المسلم
داخل الحرم؟! لاشك أنها مضاعفة وانتهاكها جريمة
عظيمة .

وقد كان الصحابة - رضي الله عنهم - يعظمون
حرمة الحرم الشريف ، حتى إنهم كانوا يتخرجون فيه مما
لا يتخرجون منه في غيره ، كما رُوي عن عبد الله بن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنهما أنه كان إذا قدم إلى مكة
يكون له فسطاطان ، أحدهما في الحل والآخر في الحرم ،
فكان إذا أراد الصلاة دخل فسطاط الحرم ، وإذا أراد
بعض شأنه دخل فسطاط الحل ، صيانة للحرم من قول :
بلى والله وكلا والله حين عظم الله الذنب فيه .

ذكره الإمام القرطبي في تفسيره ، وذكر نحوه عن
عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما^(١) .
وكذلك كان بعض التابعين يعظمون الحرم ،
فيتخرجون من الإقامة فيه ، ومما رُوي في ذلك ما ذكره
الشيخ أبو حفص عمر بن محمد الملاء من خبر القاسم بن
محمد بن أبي بكر : أن عمر بن عبد العزيز كان يقيم في
عمرته يومين ويخرج في الثالث ، فقال له عبد الله بن عمر
ابن عيسى بن عمار : لو أقمت فاستمتعت بهذا البيت
واستمتعنا معك ! فقال : ما أظن أحدا منكم أشد حبا
لهذا البيت مني ، ولكن والله لكأني على الرضف (أي
الحجارة المحماة) من حين أدخله إلى حين أخرج فرقا (أي
خوفا) من أن أحدث^(٢) (أي أن أقع في معصية) .

(١) تفسير القرطبي ٣٤ / ١٢ .

(٢) الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز / ٤٧ .

فهذا تعظيم من هؤلاء الصحابة والتابعين للحرم
المكي الشريف حيث احترسوا من الإقامة فيه خشية أن
يكتب في صحائفهم مخالفات وهم فيه ، لما يعلمون من
نكارة الذنوب فيه وضخامة عقوبة مرتكبيها ، على الرغم
من علمهم بمضاعفة الحسنات فيه إلى مائة ألف ، ولكن
لشدة خشيتهم فإنهم يؤمنون بأن اجتناب السيئات مقدم
على اجتناب الحسنات .

هذا وإن من قداسة الحرم أن الإنسان يؤاخذ فيه
على مجرد نية المعصية ، بينما لا يؤاخذ في غيره على
المعصية إلا إذا فعلها ، أما في الحرم فإن الإنسان يؤاخذ
على إرادة المعصية لقول الله تعالى ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ
بِالْحَكْمِ يُظَلَمِ نُذُوقَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥] .

ومما يدل على أن الإنسان مؤاخذ على إرادة
المعصية في الحرم ماجاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله

عنه أنه قال : لو أن رجلا أراد فيه بإلحاد بظلم وهو بعدن
أبين (يعني في اليمن) لأذاقه الله من العذاب الأليم .
قال الحافظ بن كثير : صحيح على شرط البخاري ،
وروي مرفوعا ووقفه أشبه^(١) .

وبهذا المعنى قال أهل العلم ، وعلى ذلك تكون
الآية مخصصة لعموم قول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن
ربه عز وجل « وإذا همَّ بسيئة ولم يعملها لم أكتبها
عليه^(٢) » ، ويحتمل أن يكون المراد بالإرادة في الآية العزم
المصمَّم عليه فلا يكون ذلك تخصيصا ، وذلك كعزم
أصحاب الفيل ، وكما جاء في حديث « إذا التقى
المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار ، قالوا :
يارسول الله قد عرفنا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : إنه

(١) تفسير ابن كثير ٣/٢٢٦ .

(٢) صحيح مسلم رقم ٢٠٤/١٢٨ .

كان حريصا على قتل صاحبه^(١) ولكن المعنى الأول هو
الموافق لظاهر الآية .

وقد ورد من صور الإلحاد في الحرم احتكار الطعام
فيه ، فقد أخرج أبو داود من حديث يعلى بن أمية أن
النبي ﷺ قال : « احتكار الطعام في الحرم إلهاد فيه »^(٢) .

(١) أضواء البيان ٦٠ / ٥ .

(٢) سنن أبي داود ، رقم ٢٠٢٠ (٥٢٢ / ٢) .

- إقامة ذكر الله عز وجل -

إن حج بيت الله الحرام عبادة عظيمة وله مقاصد جليلة ، فمن أعظم هذه المقاصد إقامة ذكر الله تعالى ، وإن أول أذكار الحج التلبية ، حيث يقول الحاج بعد الإحرام « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » ، فالحاج بهذا يلبي دعاء الله سبحانه له بالحج ، رافعاً شعار التوحيد بدلاً من شعار الشرك الذي كان المشركون يُضمّنونه تلبيتهم ، حيث يقولون « لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك » فيستثنون أصنامهم من نفي الشركاء عن الله تعالى .

فالحج موسم للدعوة إلى توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة واجتناب جميع أنواع الشرك سواء في مجال العبادة أو في مجال الطاعة .

فالذي يلي بالاستجابة لله تعالى وإعلان توحيده
والبراءة من الشرك به لا يليق به أن يعظم غيره سبحانه ،
ولا أن يلجأ إلى غيره ولا أن يستغيث بغيره .

فالتلبية توجيه لك أيها الحاج إلى إخلاص التوحيد
لله عز وجل ، وإنذار لك من الشرك به، إنه عهد بينك
وبين الله تعالى تأخذه على نفسك ، فإذا أنت وفيت به
فلم تخضع لغير الله سبحانه ولم تطع غيره في معصيته
فإنك تكون قد وفيت بعهدك وأديت حجاً مقبولاً ، أما
إذا خضعت لغير الله عز وجل واتبعت هواك المنحرف
واتبعت الجائحين عن الطريق المستقيم فإنك تكون قد
خنت العهد ولم تؤد حجاً مقبولاً .

وإن من أبرز مظاهر الانحراف عن التوحيد الخالص
اتباع الهوى فيما يخالف شريعة الله تعالى فإذا اتبع الإنسان
هواه ولم يخضعه لشريعة الله جل وعلا بل جعله حاكماً
على سلوكه في هذه الحياة فإنه يكون عابداً له من دون

الله تعالى ، وفي ذلك يقول الله عز وجل ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ
إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٣]
ويقول سبحانه ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَٰلَمٍ
وَحْتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ
اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

فبين سبحانه أن اتباع الهوى يصل إلى حد العبادة ،
فيتحول هوى النفس إلى وثن يعبد من دون الله تعالى ،
وقد تصل هذه العبادة إلى حدُّ الشرك الأكبر ، وقد تكون
فيما دون ذلك فيكون من قبيل الشرك الأصغر .

وإذا اتبع الناس أهواءهم حصل الفساد الكبير في
الأرض ، وبرز منطلق القوة والظلم، واختفى منطلق الرحمة
والعدل وسادت الفوضى بين الناس لانعدام الضوابط
العادلة التي يخضع لها الناس، وفي بيان ذلك يقول الله

تعالى ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون : ٧١] .

وإن من أبرز أوقات الذكر والدعاء يوم عرفة ،
وأفضل ذلك كلمة التوحيد كما قال رسول الله ﷺ
«أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا
والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له» ^(١) .
وقد كان النبي ﷺ يشغل وقته يوم عرفة بالذكر
والدعاء ، فإنه لما صلى الظهر والعصر في نمرة جمعاً
وقصراً دفع إلى عرفة فلم يزل يذكر الله تعالى ويدعوه
حتى غربت الشمس ، ولقد قال ﷺ « خذوا عني
مناسككم» وفي عمل النبي ﷺ يوم عرفة مع قوله هذا
توجيه إلى التفرغ من بعد الظهر إلى غروب الشمس للذكر
والدعاء ، وإن بعض الحجاج يضيعون أكثر هذا الوقت
بإعداد الطعام وتهيئة المكان والمراكب ، وربما ضيعوه بقيل

(١) الموطأ ١/٤٢٢ رقم ٢٤٦ .

وقال ، فيكونوا بهذا قد ضيعوا وقتاً من أغلى الأوقات
وفرصة من أثنى الفرص في إجابة الدعاء ، فليخفف
الحجاج من الأشغال والتعلقات وليصرفوا أكثر وقتهم في
الدعاء والذكر ، أما مايفعله بعض الحجاج من تخصيص
دقائق بعد العصر للذكر فإنه تقصير كبير في أداء العبادة
التي شرعت في ذلك اليوم ، وحرمان من فرصة ثمينة من
مواطن الخير وتنزل رحمة الله تبارك وتعالى .

ومن أذكار الحج المهمة ما جاء في قول الله جل وعلا
﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ
الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ
كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ [البقرة : ١٩٨]
والمشعر الحرام هو مزدلفة كما روى أبو إسحاق السبيعي
عن عمرو بن ميمون قال: سألت عبد الله بن عمرو عن
المشعر الحرام فسكت حتى إذا هبطت أيدي رواحلنا
بالمزدلفة قال: أين السائل عن المشعر الحرام؟ هذا المشعر

الحرام^(١) ، وكذلك ما أخرجه الحافظ عبد الرزاق
الصنعاني من خبر سالم بن عبد الله قال : قال ابن عمر :
المشعر الحرام المزدلفة كلها ذكر ذلك الحافظ ابن كثير
وقال : إنما سميت المزدلفة المشعر الحرام لأنها داخل
الحرم^(٢) .

وهذا الأمر بذكر الله عز وجل في مزدلفة توجيه
رباني إلى أن العبادة التي تشرع ليلة مزدلفة هي ذكر الله
جل وعلا ، فينبغي للحاج أن يكثر من الذكر في تلك
الليلة .

وفي هذه الآية توجيه إلى تذكرُ نعمة الهداية إلى
الصراط المستقيم فيتذكر الحاج وهو يذكر الله سبحانه أنه
تعالى هو الذي أنقذه من الضلالة وهداه إلى الإسلام
الذي هو أعظم نعمة يتحلى بها المسلم .

-
- (١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/٢٨٨) والأزرقي في أخبار مكة
(٢/١٩١) .
(٢) تفسير ابن كثير ١/٢٥٠ .

هذا وأن ذكر الله تعالى من أهم مقاصد الحج ، ومما جاء في ذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿ وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] وهي أيام التشريق الثلاثة بعد يوم النحر كما أخرج الإمام مسلم من حديث نبيشة الهذلي قال: قال رسول الله ﷺ «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله»^(١)، وقوله «أيام أكل وشرب» يعني أنه لا يشرع صيامهن ، كما أخرج الحافظ ابن جرير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة رضي الله عنه يطوف في منى ويقول : « لا تصوموا هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل»^(٢) .

وهذا الذكر الذي يشرع في هذه الأيام نوعان : ذكر مقيد بوقت معين وهو الذي يكون عقب الصلوات

(١) صحيح مسلم ، رقم ١١٤١ .

(٢) تفسير الطبري ٢/٣٠٤ ، وانظر تفسير ابن كثير ١/٢٥٣ .

المكتوبة ، وذكر مطلق وهو الذي يكون في سائر الأحوال ،
ويبدأ وقت الذكر على القول المشهور من صلاة الصبح
يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق ، وقد
ثبت أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان
يكبر في قبه من أيام التشريق ، وجاء في الحديث الذي
رواه أبو داود وغيره « إنما جعل الطواف بالبيت والسعي
بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله عز وجل »
ذكر ذلك الحافظ ابن كثير ^(١) .

ومما جاء في ذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿ فَإِذَا
قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ ﴾
أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴿ [البقرة : ٢٠٠] قال عبد الله بن
عباس رضي الله عنه: كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم

(١) تفسير ابن كثير ١/٢٥٣ ، والحديث المذكور أخرجه أبو داود في
سننه، رقم ١٨٨٨، والترمذي في جامعه ، رقم ٩٠٢، وابن خزيمة
في صحيحه ٤/٢٧٩ .

فيقول الرجل منهم : كان أبي يطعم ويحمل الحملات
ويحمل الديات ، ليس لهم غير ذكر فعال آبائهم ، فأنزل الله
على محمد ﷺ ﴿ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ
أَشْكَدَّ ذِكْرًا ﴾^(١) ، فقد ذكر الله سبحانه الآباء في هذه
الآية على سبيل التمثيل بما كان العرب يفعلونه في
جاهليتهم من ذكر آبائهم في أسواقهم التجارية والأدبية،
فالمعنى: إذا كان أهل الجاهلية يذكرون آباءهم بالفخر
والاعتزاز فالله تعالى أولى بأن يذكره المسلمون ، ودينه
أولى بالإشادة والاعتزاز مما ورثه الجاهليون عن الآباء
والأجداد .

وقوله تعالى ﴿ أَوْ أَشْكَدَّ ذِكْرًا ﴾ « أو » هنا
ليست للشك وإنما هي لتحقيق المماثلة كقوله تعالى
﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤] وكقوله

(١) تفسير ابن كثير ٢٥٢/١ وقوله "الديات" أي الديات جمع دية .

﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشِيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً﴾ [النساء: ٧٧]

وكتوبله ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفات:

١٤٧] وكتوبله ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩]

ذكر ذلك الحافظ ابن كثير وقال : فليست ههنا للشك
قطعا وإنما هي لتحقيق المخبر عنه ، كذلك أو أزيد منه ^(١) .

وبعد أن وجه الله تعالى المؤمنين إلى الإكثار من ذكره
أرشدهم إلى دعائه ، حيث إن من أسباب إجابة الدعاء أن
يلهج الداعي بذكر الله تعالى ، وذلك بعد أن عرض بدم
الذين لا يسألون إلا أمور دنياهم فقال ﴿فَمِنَ النَّكَّاسِ
مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
خَلْقٍ﴾ [البقرة : ٢٠٠] فالذي يكون دعاؤه خالصا
للدنيا ولا يفكر بطلب نعيم الآخرة والنجاة من عذابها
فليس له في سعادة الآخرة من حظ ولا نصيب ، أما

(١) تفسير ابن كثير ٢٥٢/١ .

السعيد حقا فهو الذي يجمع بين طلب حسنة الدنيا وحسنة الآخرة والوقاية من عذاب النار ، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة ٢٠١] فحسنة الدنيا كل ما أباحه الله تعالى من متاع الدنيا وخيراتها ، وأبلغ من ذلك السعادة الروحية التي يشعر بها المؤمن في هدايته إلى الصراط المستقيم وثباته عليه وأمله الكبير في مستقبله الأخروي ، وحسنة الآخرة في الأمن يوم الفزع الأكبر وتيسير الحساب والظفر برضوان الله جل وعلا والسعادة في الجنة ، أما سؤال الوقاية من النار فإنه يكون بتيسير أسبابه في الدنيا من فعل الطاعات واجتناب المحرمات والشبهات .

ولكون هذا الدعاء جامعاً لخيري الدنيا والآخرة فإن النبي ﷺ كان يكثر من الدعاء به ، كما أخرج الإمام أحمد من حديث عبد العزيز بن صهيب قال : سأل قتادة

أنسا : أي دعوة كان أكثر ما يدعوها النبي ﷺ ؟ قال :
يقول : « اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
عذاب النار »^(١) ، وأخرج ابن أبي حاتم من حديث
عبد السلام بن شداد قال : كنت عند أنس بن مالك فقال
له ثابت : إن إخوانك يحبون أن تدعو لهم فقال : « اللهم
آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »
وتحدثوا ساعة حتى إذا أرادوا القيام قال : يا أبا حمزة إن
إخوانك يريدون القيام فادع الله لهم ، فقال : أتريدون أن
أشقق لكم الأمور ؟ إذا آتاكم الله في الدنيا حسنة وفي
الآخرة حسنة ووقاكم عذاب النار فقد آتاكم الخير كله^(٢) .
وينبغي أن يُعلم بأنه لا بد أن يصاحب الذكر تعظيم
الله عز وجل وحضور القلب معه حال الذكر ،
فلمشركون يذكرون آباءهم ويفتخرون بهم بقلوبهم مع

(١) مسند أحمد ٣/٢٠٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/٢٥٣ .

ألستهم وكامل حواسهم ، فلا يليق بالمسلمين أن يذكروا
الله عز وجل بألستهم فقط وقلوبهم غافلة عن إجلاله
وتعظيمه .

وفي قول الله تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ
فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾
[البقرة : ٢٠٠] يأمرنا جل وعلا بأن نكثر من محامده ،
وأن نشكره على نعمه العظيمة في أثناء الحج وبعد
انقضائه على سبيل الاعتزاز به والتهوين من شأن كل من
يُعبد من دونه ، وإزالة ما وقر في بعض النفوس من تعظيم
غيره .

- الهدف الأعلى للمسلم -

ومن مقاصد الحج التذكير بالهدف الواحد للمسلمين وهو ابتغاء رضوان الله تعالى والسعادة الآخروية الذي هو الهدف السامي الذي يجب أن يعرفه المسلمون جميعا ويسعوا جاهدين لبلوغه ، قال الله سبحانه ممتدحا صحابة رسوله ﷺ ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ^ط ﴾ [الفتح : ٢٩] ففضل الله هو الجنة، ورضوان الله أكبر من ذلك .

ومعرفة هذا الهدف السامي أمر له أهميته ، وذلك لأنه الفيصل بين المسلمين حقا والمنافقين ، فالذين يظهرون الإسلام وهم في قرارة نفوسهم لا يريدون الوصول إلى هذا الهدف ليسوا مسلمين حقا ، وإنما هم منافقون .

- المساواة بين المسلمين -

ومن مقاصد الحج التقريب بين فئات المجتمع المتفاوتة حيث يلبس جميع الحجاج لباسا واحدا في حال إحرامهم ، ويشتركون جميعا في أداء المناسك ، فتضييق بذلك الفجوة بين الأغنياء والفقراء ، والكبراء والضعفاء، حيث يتواضع الأغنياء والكبراء ، وترتفع معنوية الفقراء والضعفاء ، فلا يطغى غني بكثرة ماله ، ولا كبير بعلو منزلته ، ولا يذل فقير لفقره ، ولا ضعيف لضآلة منزلته .

- التذكير بالآخرة -

إن مناسك الحج تشتمل على مقاصد عالية ،
وأسرار جليلة ، فإن أعمال الحج تذكّر بالآخرة، فحينما
يُعدُّ الحاج زاده وعدته للسفر فليطلب ذلك من المال
الحلال ، فإن الله تعالى لا يقبل عبادة نشأت من مال حرام،
وليكن استعداداه بالزاد المادي الذي به تقوم الحياة مذكرا
له بزاد الآخرة وهو التقوى .

وأول مايقوم به الحاج هو الإحرام من الميقات ،
وثياب الإحرام تشبه الكفن الذي يلف به الميت ، فليذكر
الحاج وهو يلبس ثياب الإحرام الموت الذي سيلاقيه ،
وليعدّ للأمر عدته من العمل الصالح واجتناب المعاصي .
ثم يقوم الحاج بالتلبية ، وهو حينما يقول : « لبيك
اللهم لبيك » إنما هو يجيب نداء الله عز وجل الذي دعاه
للحج وفرضه عليه ، فليكن أول مايهتم به أن تكون
استجابته مقبولة عند الله تعالى ، وأن لا يكون ممن تردُّ

تلبيتهم ، ولقد كان الصالحون من السلف يهتمون كثيراً بإجابة التلبية، وفي ذلك يقول سفيان بن عيينة - رحمه الله - حج علي بن الحسين رضي الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته أصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي ، فقيل له : لم لاتلبي ؟ فقال : أخشى أن يقال لي : لا لبيك ولاسعديك ، فلما لبي غشي عليه ووقع عن راحلته ، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه .

فإذا دخل الحاج مكة المكرمة فليتذكر أنه قد دخل في حرم مقدس آمن ، ويستشعر عظمة المكان الذي دخل فيه ، وليكن حرصه على تعظيم الحرم ورعاية الأمن فيه مذكرا له بضرورة توفير الأمن والحماية لنفسه من وساوس الشيطان ومراودة النفس الأمارة بالسوء .

فإذا شرع الحاج في الطواف بالبيت فليتذكر أنه قد دخل في صلاة ، فالطواف صلاة إلا أنه قد أبيع الكلام

فيه كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما^(١) فليخشع خشوعاً كاملاً وليحضر قلبه مع الله عز وجل وليستشعر عظمته وهو يطوف حول بيته ويدعوه ، وعلى قدر حضور القلب مع الله عز وجل وتعظيمه يكون أثر الطواف في طمأنينة القلب وسكينة وأثر ذلك في تهذيب السلوك وتقويم الأخلاق .

ومما ذكر في الخشوع في الطواف وحضور القلب مع الله تعالى ماروي عن عروة بن الزبير قال: خطبتُ إلى ابن عمر ابنته ونحن في الطواف ، فسكتَ ولم يجبني بكلمة ، فقلت : لو رضي لأجاني والله لا أراجع بكلمة ، فقدر له أنه صدر إلى المدينة قبلي ، ، ثم قدمت فدخلت مسجد رسول الله ﷺ ، فسلمت عليه وأدّيت من حقه ما هو أهله وأتيته فرحب بي ، وقال: متى قدمت ؟ قلت: هذا حين قدومي ، قال: كنتَ ذكرتَ لي سودة بنت عبد الله ونحن

(١) أخرجه الدارمي ٤٤/٢ ، وابن حبان ٥٤/٦ .

في الطواف نتخايل الله بين أعيننا ، وكنتَ قادراً أن تلقاني
في غير ذلك الموطن ، فقلت : كان أمراً قدراً ، فقال:
مارأيك اليوم ؟ قلت: أحرص ماكنت قط ، فدعا ابنه
سالماً وعبد الله فزوجني ^(١) .

فهذا تذكير بليغ من عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما بما يجب أن يكون عليه المسلم في أثناء أدائه للعبادة،
فإن إباحة الكلام في الطواف لاتعني أن ينصرف الطائف
عن موضوع الطواف ويتحدث في أمور الدنيا ، وإنما يباح
الكلام للحاجة الطارئة .

وليتذكر الحاج بطوافه بالبيت لقاءه بربه عز وجل في
الآخرة والنظر إلى وجهه الكريم ، فإن من زار بيتاً طمع
في لقاء صاحبه .

والكعبة بيت الله عز وجل ، فمن زار الكعبة وطاف
بها مخلصاً لله تعالى خاضعاً له مخلصاً قلبه من غيره فإنه

(١) حلية الأولياء ١/٣٠٩ .

جدير بقاء الله جل وعلا يوم القيامة وتكريمه ، ولما كانت
أبصار الناس كليلة عن رؤية الله عز وجل في الدنيا فإنه
تعالى قد وعد أوليائه بالظفر بلذة النظر إلى وجهه الكريم
يوم القيامة بعد أن يُبدّلوا خلقا آخر ، فليسعدوا برؤية
بيت الله تعالى والطواف حوله رجاء أن ينالوا منتهى
مناهم فيسعدوا بالنظر إلى وجه ربهم الكريم في الآخرة .

- إظهار عزة الإسلام -

ومن سنن الطواف الرَّمْل ، وهو أن يسرع الطائف في مشيه في الأشواط الثلاثة الأولى وذلك في طواف القدوم والعمرة ، والأصل في ذلك ما كان من رسول الله ﷺ في عمرة القضاء ، وذلك بعد صلح الحديبية بسنة ، وكان ذلك من شروط الصلح ، وقد أخرج الشيخان رحمهما الله من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب، فقال المشركون : إنه يقدم عليكم غدًا قوم قد وهنتهم الحمى ، ولقوا منها شدة ، فجلسوا مما يلي الحجر ، وأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط ، ويمشوا بين الركنين (يعني حيث لا يراهم المشركون) ليرى المشركون جلدهم (أي قوتهم وصبرهم) فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم ، هؤلاء أجلد من كذا وكذا .

قال ابن عباس : ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا
الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم^(١) . وقال محمد بن
إسحاق : فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها
ليست لهم ، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحي
من قريش للذي بلغه عنهم ، حتى إذا حج حجة الوداع
فلزمها فمضت السنة بها^(٢) .

فالرمل في الطواف تذكير بذلك الموقف من رسول
الله ﷺ وأصحابه يوم أن دخلوا مكة وهم في حال حرب
مع الكفار ، والكفار يودون أن يروا فيهم أي مظهر من
مظاهر الضعف ليستعزوا عليهم وليرفعوا من شخصيات
أتباعهم ، ولكن النبي ﷺ فوت عليهم هذه الفرصة حينما
أمر أتباعه بالإسراع في المشي حال الطواف فانقلبت

(١) صحيح مسلم ، رقم ١٢٦٦ (ص ٩٢٣) ، صحيح البخاري ، رقم

١٦٠٢ (٤٦٩/٣) .

(٢) سيرة ابن هشام ٤٩٩/٣ .

مفاهيم المشركين عن المسلمين وتحطمت آمالهم في إساءة سمعة المسلمين وإضعاف قوتهم .

هذا وإن الحاج الذي يتذكر هذا المعنى السامي وهو يرمل في طوافه ينبغي له أن يستصحب هذا الشعور بعد ذلك ، فيظهر دائماً عزة الإسلام والمسلمين ، وأن لا يقف موقفا يضع فيه الإسلام في موقف الضعف ولا المسلمين في موقف الذل .

وليتذكر الحاج فيما يواجهه في أدائه للمناسك من شدة وزحام ما سيلاقيه يوم المحشر من الأهوال ، فليتنبه للعمل قبل حلول الأجل ، وليتذكر في حرارة الشمس أيام الحج دنو الشمس من الخلائق يوم القيامة فليستعد للنجاة من حر ذلك اليوم .

- تقوية الإيمان بالله عز وجل -

إن من مقاصد الحج تقوية الإيمان بالله تعالى ،
والعبادات كلها إذا تم أداؤها بإتقان ترفع من مستوى
الإيمان ، فالإيمان كالبناء ، وإنما ينمو بناء الإيمان ، ويتقوى
بالأعمال الصالحة ، كما أنه يضعف ويتهدم بالأعمال
السيئة ، فالله سبحانه - مثلاً - سمي الصلاة إيماناً، وذلك
في قوله ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ
الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى
الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ
لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] يعني وما صح ولا
استقام في شرع الله تعالى أن يضيع ثواب صلاتكم التي
كنتم تتوجهون بها نحو بيت المقدس لأنكم إنما فعلتم ذلك
طاعة لأمر الله عز وجل ، ومن أطاعه نال ثوابه ، ومما
يدل على ذلك ما أخرجه الطيالسي والنسائي من حديث
البراء بن عازب رضي الله عنه « أنه مات على القبلة قبل

أن تُحوّل رجال وقتلوا فلم ندر مانقول فيهم فأنزل الله
تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ صلواتكم إلى بيت
المقدس»^(١) .

ومن أسباب كون الحج دافعا إلى ارتفاع مستوى
الإيمان أنه يشتمل على أدعية كثيرة تقترن بكل مناسك
الحج ، فالحاج حين يرفع يديه بحمد الله تعالى وشكره
ودعائه يكون حاضر القلب معه جل وعلا مستشعرا
عظمته ذاكرا علمه به ورقابته عليه ، وبهذا يتقوى إيمانه
ويزداد يقينه .

ولا ينبغي للحاج أن يهمل الأدعية التي تقترن
بالمناسك لأنها تصله بالله تعالى وتحوّل المناسك من أفعال
قد لا تشتمل على حضور القلب وتعظيم الله سبحانه إلى
عبادات حيوية تصاحبها النية ومشاعر القلب ، ولذلك
فإن الذين ينيون غيرهم في رمي الجمرات يفتقدون

(١) فتح الباري ١/٩٦ .

روحانية الأدعية المصاحبة لهذا النسك ، ولهذا فإن عليهم من أجل إكمال هذا النسك أن يرموا في الليل ليقوموا بأداء هذه العبادة بأنفسهم ما لم يكونوا عاجزين عن ذلك . ومن أسباب تقوية الإيمان في الحج مشاهدة جموع الحجاج في الحرم الشريف والمشاعر المقدسة ، حيث يتتاب الحاج شعور قوي بعزة هذا الدين العظيم الذي يجمع ذلك العدد الكبير كل عام من غير مصلحة دنيوية ، بل بتكاليف مالية وتعب في الأجسام ، فيدرك الحاج أن وراء هذا الدافع لجموع هؤلاء البشر على مختلف طبقاتهم وأعمارهم مبدأ عظيما لا يستطيع البشر أن يوجدوه ، ذلك لأن البشر مهما أوتوا من سلطة وقوة لا يستطيعون أن يجمعوا معشار هذا العدد إلا بترغيب دنيوي حاضر أو آمال دنيوية مستقبلية ، فإذا استشعر الحاج هذا المعنى العظيم فإن إيمانه بهذا الدين يقوى ويقينه به يزداد رسوخا، وكم من أناس حجوا أو اعتمروا مع أهاليهم أو زملائهم على غير نية ، فلما شاهدوا جموع الحجاج

والمعتمرين اهتدوا بعد ضلالة واستقاموا بعد انحراف ، أو
ازدادوا تمسكا بالدين إن كانوا على هداية واستقامة .
ومن أسباب ارتفاع الإيمان أن يؤدي المسلم أعمالا
لا يعرف الحكمة من شرعيتها ، وإنما يطبقها طاعة لله
تعالى، وإذا نظرنا إلى بعض مناسك الحج نجد أنها مما
لا تدرك حكمته ، وإنما هي أمور تعبدية يفعلها الحاج
استجابة لأمر الله جل وعلا وفي ذلك يقول أمير المؤمنين
عمر رضي الله عنه وهو يقبل الحجر الأسود : « والله إنني
لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول
الله ﷺ يقبلك ما قبلتك » ^(١) ، وكون الإنسان يقوم بعبادات
لا يدري ما حكمة مشروعيتها أبلغ في كمال العبودية ،
لأن النفوس ميالة بعض الشيء إلى ما تدرك حكمة

(١) أخرجه الشيخان ، صحيح مسلم، رقم ١٢٧٠ ، صحيح البخاري،
رقم ١٦١٠ .

شرعيته ، أما ما لا تدركها فلا يدفعها إلى أداء العمل إلا
كمال الطاعة والاستسلام لله عز وجل .

هذا وإن مما يترتب عليه قوة الإيمان الاتصاف
بالتقوى وقد أمر الله تعالى بالتزود بالتقوى في الحج حيث
يقول ﴿ وَتَكَزُّوْهُوَ فَابْتَغِ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى وَأَتَّقُوْنَ يَتَأُوْلِي
الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ١٩٧] والمتقون هم الذين يتقون
عذاب الله تعالى بفعل أوامره واجتناب نواهيه ، ونظراً
لأهمية التقوى فقد تكرر ذكرها في القرآن الكريم بصيغ
متعددة أكثر من مائتي مرة .

ولقد جاء عن عبد الله بن عباس في هذه الآية أنه
قال : « كان أناس يخرجون من أهلهم ليست معهم
أزودة ، يقولون : نحج بيت الله ولا يطعمنا ؟ فقال الله :
تزودوا ما يكف وجوهكم عن الناس » ذكره الحافظ ابن
كثير وقال في قوله تعالى ﴿ فَابْتَغِ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى ﴾ : لما
أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة وهو

استصحاب التقوى إليها كما قال ﴿وَرِيثًا وَلبَاسُ التَّقْوَى﴾^(١) ذلك خيرٌ لما ذكر اللباس الحسي نبه مرشدا إلى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة والتقوى ، وذكر أنه خير من هذا وأنفع^(١) .

والتقوى هدف مشترك بين جميع العبادات ، فإن من مقاصد العبادات المهمة أن يخرج العابد منها بضمير حي وقلب يقظ مدرك للهدف السامي من عبادته وهو ابتغاء رضوان الله تعالى والسعادة الآخروية .

فمناسك الحج بما تشتمل عليه من عمل وذكر تشد الحاج إلى تذكر عظمة الله عز وجل ، واستحضار رقابته على خلقه ، وبالتالي فإنها تشد الحاج إلى تقوى الله جل وعلا بفعل جميع أوامره واجتناب جميع نواهيه .

وإنما يحصل الحاج على التقوى إذا أدى أنساك الحج كما شرعها الله تعالى ، ولم يتهاون بشيء منها اتباعا

(١) تفسير ابن كثير ١/٢٤٨ .

للهى ، أو مجاملة لغيره ، وأن يكون في حال أدائها
خالص النية حاضر القلب مع الله عز وجل مستحضرا
عظمته جل وعلا .

فالحج فرصة عظيمة للتزود بالتقوى ، وإصلاح
أحوال النفوس ليستمر الحاج بعد ذلك على الاستقامة
والصلاح .

- تهذيب الأخلاق -

إن من مقاصد الحج تهذيب الأخلاق حيث يدفع المسلم إلى التحلي بمكارم الأخلاق والابتعاد عن مساوئها، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فُضِّ فِيهَا الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] وأشهر الحج هي شوال وذو القعدة وذو الحجة، وقوله تعالى ﴿فَمَنْ فُضِّ فِيهَا﴾ أي فمن أحرم فيهن بالحج، وقوله ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ الرفث هو إتيان النساء ودواعيه والكلام مع النساء في ذلك، كما روي ذلك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وغيره، ويبقى ذلك محرماً بين الأزواج وزوجاتهم من وقت الإحرام بالحج إلى أن يتحللوا التحلل الأخير، وذلك بعد أن يؤدوا المناسك الأربعة: رمي جمرة العقبة،

والحلق أو التقصير ، والطواف والسعي ، وذلك كله -
كما هو معلوم - بعد الوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة .

وقوله تعالى ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ الفسوق يشمل جميع
المعاصي ، كما ثبت ذلك عن ابن عباس وغيره ، فالله
تعالى بهذا ينهى عن التلبس بأي معصية من المعاصي بعد
الشروع في الحج، وذلك أن من أحرم بالحج أو العمرة
فإنه قد تلبس بعبادة الله تعالى كحال من دخل في صلاة
فلا يجوز له - والحال هذه - أن يقع في شيء من المعاصي
وهو يؤدي تلك العبادة ، والمعاصي محرمة في كل حين
ولكن حرمتها تتأكد حينما يتلبس الإنسان بعبادة كما
تتأكد بجرمة الزمان والمكان ، وفي هذا تعويد للمسلم على
اجتناب المعاصي في كل أوقاته ، لأنه حينما يمنع نفسه من
المعاصي في أيام الحج فإن ذلك يدفعه إلى عدم معاودة
الوقوع في المعاصي بعد ذلك .

فالله سبحانه قد شرع الحج إلى بيته المحرم ليكون في ذلك تزكية للنفوس وتطهير لها من أدران المعاصي والمخالفات ، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » أخرجه الإمام البخاري ^(١) .

وقوله « من حج هذا البيت » يتضمن الإخلاص في الحج لقول الله تعالى ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ وذلك بأن يكون الهدف من الحج بلوغ رضوان الله تعالى، لامرأة الناس ولا طلب الدنيا وأن يحضر قلبه مع الله تعالى في أداء أنساك الحج ، فإذا قام بأداء المناسك على وجهها التام واجتنب جميع المعاصي والمخالفات كان جديراً بأن يحصل على هذا الوعد الكريم بتطهيره من جميع ذنوبه وتكفير سيئاته ، وهذا مقصد عظيم من مقاصد الحج ، يجعل قلوب المسلمين تهفو إلى هذا البلد

(١) صحيح البخاري رقم ١٨١٩ (٤/٢٠) .

الأمين الذي جعله الله مطهرة للقلوب من الأرجاس
والذنوب .

وقوله تعالى ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ الجدال في الحج
هو السباب والمنازعة ، قال عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ المرء والملاحاة حتى
تغضب أخاك وصاحبك ، فنهى الله عن ذلك ، وكذلك
روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ^(١) .

وفي هذا يقول رسول الله ﷺ : « من قضى نسكه
وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ماتقدم من ذنبه »
أخرجه الحافظ عبد بن حميد في مسنده من حديث جابر
بن عبد الله رضي الله عنهما ^(٢) .

ومن هذا يتبين لنا أن أحد مقاصد الحج المهمة وهو
مغفرة الذنوب مرهون بسلامة المسلم من أذية الحاج من

(١) تفسير ابن كثير ١/٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢) المنتخب لعبد بن حميد ، رقم ١١٤٨ (٢/٢٠٦) .

يده أو لسانه ، وأن بسط الأيدي والألسنة في أذى المسلمين وترويعهم وإشغالهم عن أداء نسكهم على الوجه الأكمل مانع من حصول الهدف السامي الذي من أجله شد الحاج رحاله وتغرب عن أهله وتكبد المتاعب ، وإن الذين يجتمعون ويتحزبون لإزعاج المسلمين وإثارتهم قد أساءوا إلى أنفسهم وإلى المسلمين وأصبحوا عوناً للشيطان الذي يحرص جاهداً على أن يفسد على المسلمين حجهم ، ويضيع عليهم الهدف الذي من أجله أنفقوا أموالهم وأتعبوا أجسامهم .

فعلى المسلمين أن يعوا الحكمة السامية من حجهم وأن يفهموا الوسائل التي توصلهم إلى تحقيق هذه الحكمة والوسائل التي تمنعهم من تحقيقها .

إن كثيراً من المسلمين حين يسمعون قول النبي ﷺ «رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» تتوق أنفسهم إلى أن يرجعوا من حجهم مغفورا لهم مطهرين من الذنوب والآثام ، ولكن بعضهم يظنون أن الحج هو مجرد أداء

المناسك المفروضة والواجبة ، ولا يهتمون بأمر السلوك الذي يجب أن يلتزم به الحاج ويستقيم عليه ، ولذلك تقع الخصومات بين بعض الحجاج وتسود الأثرة ويغلب حب الذات بدلا من الإيثار وحب الصالح العام ، ولو علموا أن مغفرة الذنوب مشروطة بكف الأذى عن المسلمين بجميع أشكاله لراجعوا أنفسهم كثيرا إن كانوا صادقين في طلب المغفرة والتطهير من الذنوب .

فإذا ازدحم الطريق بالناس بحيث لا يتسع إلا للقليل منهم فالإيثار يقتضي أن يقدم بعضهم بعضا، خصوصا الضعفاء منهم بمودة وانسجام ، أو على الأقل أن يعطى صاحب الحق حقه فيتقدمون الأول فالأول .

وإذا ازدحم الناس على الماء فالإيثار يقتضي أن يُقدّم كبار السن الذين لا يستطيعون الوقوف طويلا ومن لا يريد إلا القليل من الماء للشرب أو الوضوء ، أو على الأقل أن يقفوا بانتظام وتعطى الأولوية للمتقدم .

وإذا ازدحم الحجاج عند أداء المناسك فليعلم المسلم
أن إنقاذ أخيه المسلم من الهلاك أفضل من أداء النسك
لأن النسك يمكن تأجيله وإنقاذ مسلم أمامه يوشك على
الهلاك لا يمكن تأخيره، فكيف بمن يسهمون في إهلاك
المسلمين؟!؟

وأي نسك هذا الذي يؤدونه وهم يدفعون إخوانهم
يميناً وشمالاً؟!؟

ومن هذا ندرك أن بعض الحجاج لا يفقهون المعاني
الكاملة للحج ولا مقاصده السامية ، ولا يفهمون أن الحج
يجب أن تسوده الرحمة والمودة ، وأن من كمال الحج أن
توثر أخاك المسلم على نفسك بأسباب الراحة ، وأن من
لوازمه أن يعرف الحاج حقوق إخوانه الحجاج فلا ينتهك
شيئاً منها .

وفي قول الله تعالى ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ نفى الله
سبحانه وجود الجدال في الحج، والنفي أبلغ من النهي،

وهو يتضمنه ، فالمعنى ليس من شأن الحج أن يكون فيه
جدال ، ومن جادل في الحج فقد استهان بهذه العبادة
العظيمة .

- التعارف بين المسلمين -

إن من مقاصد الحج التعارف بين علماء المسلمين وقادتهم ووجهاتهم ، فالعلماء قد لا يلتقي بعضهم ببعض إلا في موسم الحج ، وطلاب العلم قد لا يستطيعون مقابلة العلماء والتلقي عنهم إلا في هذا الموسم، حيث يفدون إلى مكة المكرمة من عموم أقطار الأرض، ومن الصعب على طلاب العلم أن يرحلوا من أقصى الأرض إلى أقصاها للقاء العلماء ، لكن الحج يقرب ذلك البعيد ، فيجمع أهل العلم في ذلك الموسم الكريم، فيتدارسون العلم ويتذكرون فيما بينهم .

لقد كان الحج مدرسة علمية يكمل فيها أهل العلم ما بدؤوه ، ويحصلون فيها ما فقدوه ، ففي علم الحديث مثلا كان طلاب العلم يتعلمون الأحاديث النبوية بأسانيدها ويروونها عن العلماء الذين ييسر لهم لقاءهم في بلادهم ، ولكن كان لديهم طموح لتحصيل السند

العالي، فإذا كان بين الراوي والنبي ﷺ خمسة رُواة فهو يطمح إلى أن يكون بينه وبينه أربعة رواة فقط، ولهذا كانوا يرحلون إلى البلاد التي قد تكون بعيدة من أجل الحصول على السند العالي، فإذا كان موسم الحج فإنهم يرون فيه فرصة للقاء العلماء الذين يَفِدُون من أقطار الأرض، فلعلهم يجدون شيوخ شيوخهم فيروون عنهم الأحاديث، وبذلك يحدفون من أسانيدهم رجلا ويظفرون بالأسانيد العالية .

ومن ذلك في سبيل المثال أنه لما قدم معاوية بن صالح بن حُدير قاضي الأندلس إلى الحج وكان يروي صحيفة على بن أبي طلحة عن ابن عباس اجتمع على الرواية عنه أهل الحديث حتى الأكابر منهم كسفيان الثوري وعلي بن مهدي طلباً لعلو الإسناد^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء ١٦١/٧ .

وكذلك الفقهاء فإن الحج فرصة مهمة لاجتماعهم
وطرح قضايا الفقه التي تحتاج إلى نظر واجتهاد وتبادل
الآراء فيما بينهم ، ومن المعلوم أن معرفة واقع الأمة له
أثر مهم في الاجتهاد ، وذلك في المسائل التي تتعلق بحياة
الناس ، وحينما يَفِدُ إلى مكة في موسم الحج الفقهاء من
أقطار الأرض يكون في ذلك إثراء لفقه الواقع ، حيث
يذكر فقهاء كل بلد واقع مجتمعهم في القضايا الفقهية التي
يتم بحثها .

وقد تعددت الجامعات الفقهية في العالم الإسلامي وفي
بلاد الأقليات الإسلامية ، فمن المناسب أن يكون للفقهاء
اجتماع عام يضم ممثلين عن كل الجامع ، وإن من
المناسب أن يكون هذا الاجتماع في مواسم الحج .

وإذا كان الحرم المكي الشريف والأماكن المقدسة في
منى وعرفات هي مكان تجمُّع العلماء وطلاب العلم في
العصور السابقة فإنها لاتزال كذلك ، إضافة إلى
استحداث وسائل أخرى مثل إقامة المؤتمرات والملتقيات

التي يُدعى لها عدد مختار من علماء المسلمين ويتم فيها تدارس بعض قضاياهم المعاصرة .

ونظراً لصعوبة الاتصال في العصر الحاضر لكثرة الحجاج فإنه يمكن استعمال وسائل الاتصال الحديثة الجماعية كالإذاعة والرأي ، والفردية كالهاتف ، من أجل التبليغ واللقاء الفكري .

فالحج وسيلة مهمة للتعارف بين أهل العلم معلمين ودارسين ، وهذا التعارف بين أهل العلم يُعدُّ خطوة أولى في تكوين الأخوة الإسلامية والرابطة الدينية بين المسلمين.

هذا وإن هذا الهدف من التلاقي والتعارف وتبادل الرأي ليس خاصاً بعلماء الدين ، بل هو عام لكل فئات الأمة وتخصصاتهم ، فالحج فريضة على كل مسلم ، ولا بد لكل مسلم أن يحج ، ومن الممكن أن تنسق الجهود لتلاقي وتعارف أصحاب كل التخصصات مع من يشاركونهم في تخصصاتهم ، فقادة الأمة وزعمائها ينبغي

أن يتعارفوا من خلال موسم الحج وأن يلتقوا وأن يتبادلوا الرأي في طرح مشكلات المسلمين، وأن يتشاوروا في العلاج الأمثل لحلها ، وكذلك كل فئات المجتمع الإسلامي .

وبهذا التخطيط والتنسيق يمكن أن يكون موسم الحج منطلقاً لمواسم أخرى تخدم الأمة الإسلامية وترفع من مستواها العلمي والإداري .

وإذا كان المفسرون قد أدخلوا منافع الدنيا في تفسير قول الله تبارك وتعالى ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٨] فإن هذه اللقاءات المذكورة تُعدُّ من منافع الآخرة فهي أولى بالذكر والاعتبار .

- تثبيت الأخوة الإسلامية -

إن من مقاصد الحج تثبيت الأخوة الإسلامية وتقويتها ، فالحج هو القمة العليا لتكوين الأخوة الإسلامية التي من عواملها الأولى شرعية صلاة الجماعة ، حيث يجتمع أفراد الحي الواحد خمس مرات في اليوم واللييلة ، فيتعارفون فيما بينهم ، وتتقوى علاقاتهم ، وتنمو في قلوبهم المحبة في الله والأخوة الإيمانية ، ثم تتوسع دائرة هذه الأخوة في صلاة الجمعة ، حيث يجتمع أبناء البلد الواحد أو بعضهم مرة كل أسبوع ، ثم يجتمعون بصورة أوسع مرتين في العام في صلاة العيدين . وفي الحج تبلغ الأخوة الإسلامية كمالها في القوة والشمول ، حيث يجتمع وفود المسلمين جميعا في الأماكن المقدسة ، ويشارك فيها كل مسلم مرة على الأقل في عمره .

- توجيهات لما بعد الحج -

لقد أمرنا الله عز وجل بإخلاص الحج والعمرة له وحده جل وعلا فقال سبحانه ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ فالحج والعمرة يجب أن يكونا خالصين لله تعالى وحده، بحيث تكون نية الحاج والمعتمر التقرب إليه سبحانه لا مرأاة الناس ولا طلب تحسين السمعة أمامهم.

فإذا كنت أيها الحاج ممن حاز على شرف الإخلاص وأديت الحج والعمرة لله عز وجل وحده فداوم على ما كنت عليه من هذا التجرد والإخلاص ، ولا تنتكس بعد حجك بمزاولة أعمال ظاهرها الصلاح وباطنها مرأاة الناس والسباق نحو اكتساب السمعة عندهم .

فإنك لو فعلت ذلك يكون الشرك قد تسرب إلى قلبك ، فإن حقيقة التوحيد أن يمتلئ قلبك بتعظيم الله جل وعلا وإجلاله بحيث لا يكون فيه متسع لاتباع هوى النفس أو أهواء البشر ، فإذا تسربت القوى الخفية إلى

القلب فإنها تزاحم وجود الإيمان بالله عز وجل في القلب، وبالتالي تتشكّل التصورات الفكرية بناء على ذلك ، ويتبعها السلوك العملي ، فإذا كان وجود الإيمان بالله تعالى خالصاً في قلب المؤمن فإن جميع تصوراته وأنماط سلوكه تكون منسجمة مع التوحيد الخالص، وعلى هذا المستوى الإيمانى كان الصحابة رضي الله عنهم، حيث كانت أعمالهم ترجماً لمعتقدات قلوبهم ، فلما كان سلوكهم حسناً دلّ ذلك على صفاء تصوراتهم، وهذا بالتالي دليل على إخلاص قلوبهم وامتلائها بالإيمان بالله عز وجل ، كما قال رسول الله ﷺ عن عمار ابن ياسر رضي الله عنه « ملئ عمار إيماناً إلى مشاشه »^(١) والمشاش أطراف العظام كالمرفقين والكتفين ، وهو تعبير عن بلوغ الكمال في الإيمان .

(١) سنن النسائي ٨/١١١ ، سنن ابن ماجه رقم ١٤٧ ، المقدمة .

أما إذا تسرب إلى قلب الإنسان الخضوع لهوى
النفس أو أهواء البشر فيما يتعارض مع طاعة الله جل
وعلا فإن تصورات القلب تكون موزعة بين محاولة
إرضاء الله تعالى ومحاولة إرضاء الآخرين ، وعلى قدر قوة
الجذب في الطرفين تكون الهيمنة على التصورات
والمشاعر وتوجيه أنماط السلوك .

وقد يغرر المرء بنفسه باعتقاد أنه من أهل التوحيد
الخالص ، بينما هو قد يطيع هوى نفسه في معصية الله
تعالى ، وقد يخضع لطاعة الناس في معصية الله عز وجل ،
فهذا يكون قد وقع في نوع من الشرك الخفي ، فإن الله
جل وعلا قد حكم على الذين اتبعوا أهواءهم وأطاعوا
غيرهم في معصية الله سبحانه بأنهم قد اتخذوا من دونه
عز وجل آلهة وأرباباً ، كما في قوله تعالى ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ
اتَّخَذَ إِلَهَهُ، هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان :
٤٣] وكما في قوله جل وعلا ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ

وَرُهِبْنَهُمْ رَبَّكَ بِأَنَّ دُونِ اللَّهِ ﴿ [التوبة: ٣١] وفي
معنى هذه الآية أخرج الإمامان الترمذي والطبري من
حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه : أنه دخل على
رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ
وَرُهِبْنَهُمْ رَبَّكَ بِأَنَّ دُونِ اللَّهِ ﴾ فقال : إنهم لم
يعبدوهم ، فقال ﷺ : «بلى إنهم حرموا عليهم الحلال
وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم»^(١) .

وهذا يعني شرك الطاعة فإنه داخل في العبادة ، وإذا
حدثت طاعة المسلم هوواه أو طاعة الآخرين في معصية
الله تعالى فإن ذلك يدخل تحت دائرة الشرك الأصغر ما لم
يصرف للمخلوق نوعا من العبادة كالسجود والطواف
والدعاء أو يتعمد تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله
كما فعل النصارى فإن ذلك يكون من الشرك الأكبر .

(١) سنن الترمذي ، رقم ٣٠٩٥ ، تفسير الطبري (١٠/١١٤) .

فالذي يؤدي الحج ثم يقع في أي نوع من أنواع
الشرك فإنه لم يكتسب من حجه دروساً في التوحيد
الخالص لأنه قد وقع بعد ذلك في الشرك .

وإذا كنت أيها الحاج قد استقمت في حجك على
آداب الإسلام فلم تسب المسلمين ولم تجادلهم بالباطل ولم
توقع الأذى والضرر بهم فداوم على الاستقامة على هذه
الأخلاق الإسلامية، فإن تلك الأخلاق العالية ليست من
خصائص أيام الحج ، بل هي مطلوبة منك في كل أيامك .
وإذا كنت أيها الحاج قد عصمت نفسك عن
المعاصي واستقمت على الطاعات في أيام الحج فاجعل
من هذه الاستقامة درساً نافعاً لك في سائر أيامك فإن الله
عز وجل الذي خشيتَه وراقبته واتقيته في أيام الحج عالم
بك ومطلع على مكنونات ضميرك في كل أيامك
وسيحاسبك على كل صغيرة وكبيرة فعلتها ، فاستقم
على طاعته حتى تفارق روحك جسدك .

وإن مما يطلب من المسلم أن يدوم على الأعمال
الصالحة سواء في الواجبات أو النوافل، فأما الواجبات
فإنه يجب عليه أن يؤديها كاملة ، وأما النوافل فإنه ينبغي
له أن يدوم على مايقوم به من العمل وإن قلَّ ، وأن
لاينقطع عنه ، وأن لا يكون توجهه إلى الأعمال الصالحة
في المناسبات والمواسم وقد أثنى الله عز وجل على
الدائمين على الأعمال الصالحة فقال تعالى ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى
صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ [المعارج : ٢٣] فينبغي للمسلم أن
يستديم على العمل الصالح في باب النوافل وإن كان
قليلاً ، فالدوام على القليل خير من الكثير مع الانقطاع
كما أخرج الحافظ مسلم - رحمه الله - من حديث أم
المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) : « أن رسول الله ﷺ
سئل أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : أدومُه وإن قلَّ » ^(١) .
وأخرج الحافظ أبو عبد الله البخاري - رحمه الله -

(١) صحيح مسلم ، رقم ٧٨٢ / ٢١٥ ، صلاة المسافرين (ص ٥٤٠) .

من حديث أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) : أن
النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة ، قال : من هذه ؟
قالت فلانة - تذكر من صلاتها - قال : مه ، عليكم بما
تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا ، وكان أحب الدين
إليه مادام عليه صاحبه ^(١) .

(١) صحيح البخاري ، رقم ٤٣ ، الإيمان (١/١٠١) .

ملحق موجز في بيان أحكام الحج وصفته

(٩٣)

أنواع النسك

أنواع النسك في الحج ثلاثة : التمتع والقِران والإفراد .

فالتمتع أن يحرم الحاج بالعمرة في أشهر الحج - أي بعد دخول شهر شوال - ويفرغ منها ، ثم يحرم بالحج في ذلك العام .

والقِران أن يقرن بين الحج والعمرة ، فيحرم بهما جميعاً أو أن يحرم بالعمرة وحدها ثم يدخل عليها الحج قبل الشروع في طوافها .

والإفراد أن يحرم بالحج وحده .

وأفضلها التمتع ، لأن النبي ﷺ أمر أصحابه حين فرغوا من الطواف والسعي أن يُحلُّوا ويجعلوها عمرة إلا من ساق الهدى، حيث قال حين أكمل السعي « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى

ولأحللت معكم»^(١) .

ويجب بالتمتع أو القران تقديم الهدي ، وهو شاة أو
سُبع بدنة أو سُبُع بقرة ، ويذبح الهدي يوم العيد أو في
الأيام الثلاثة بعده ، فإن لم يجد فيصوم ثلاثة أيام في الحج
- وتكون في أيام التشريق الثلاثة التي بعد العيد - وسبعة
إذا رجع إلى أهله ، وذلك على غير أهل مكة لقول الله
تعالى ﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحُجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحُجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ
لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ [البقرة : ١٩٦] .

(١) صحيح مسلم ، رقم (١٢١٨) .

الإحرام بالحج والعمرة

يُحرم الحاج بالعمرة أو بالحج - إذا كان مفرداً أو قارئاً - من ميقات بلده إذا كان خارج الميقات ، وإن كان دونه أحرم من مكانه ، ويسن له أن يغتسل كما فعل رسول الله ﷺ فإنه « تجرد لإهلاله واغتسل »^(١) .

وأن يُطَيَّب بدنه قبل الإحرام ، لأن النبي ﷺ تطيَّب لإحرامه ، كما قالت عائشة رضي الله عنها « كنت أُطَيَّب النبي ﷺ لإحرامه قبل أن يجرم ، ولحلّه قبل أن يطوف بالبيت »^(٢) .

وأن يتجرد من الثياب المخيطة ويلبس إزاراً ورداءً أبيضين ، لقول رسول الله ﷺ « لِيُحْرَمَ أَحَدُكُمْ فِي إِزَارٍ وَرَدَاءٍ وَنَعْلَيْنِ »^(٣) .

(١) سنن الترمذي ، رقم ٨٣٠ ، وحسنه الترمذي .

(٢) صحيح البخاري ، رقم ١٥٣٩ ، صحيح مسلم ، رقم ١١٨٩ .

(٣) مسند أحمد ٢/٣٤ .

وإن خاف أن يجسه جابس عن إتمام حجه فيشرع له أن يقول : وإن حبسني جابس فمحلِّي حيث حبستني ، وذلك لقول النبي ﷺ لضُباعة بنت الزبير - لما ذكرت له أنها تشكو من مرض - « حجي واشترطي ، وقولي : اللهم محلي حيث حبستني » ^(١) .

ويقول إذا نوى الإحرام بالعمرة (لبيك عمرة) وإذا نوى الحج مفرداً أو متمتعاً يقول (لبيك حجا) وإذا نوى القران يقول (لبيك عمرة وحجا) ويُهَلُّ بالتوحيد فيقول « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » ^(٢) .

الطواف في الحج والعمرة

يطوف الحاج والمعتمر بالكعبة سبعة أشواط ، ويبدأ الطواف بالحجر الأسود ، فيستلمه ويُقبِّله إن تيسر، وإلا

(١) صحيح مسلم ، رقم ١٢٠٧ .

(٢) صحيح مسلم ، رقم ١٢١٨ .

أشار إليه ، ويقول (بسم الله والله أكبر ، اللهم إيماناً بك ،
وتصديقاً بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعاً لسنة نبيك ﷺ)^(١) .
وإذا مر بالركن اليماني استلمه بيده إن تيسر ،
ويرمل في طواف العمرة وطواف القدوم في الأشواط
الثلاثة الأولى ، والرَّمَل هو الإسراع في المشي مع تقارب
الخطى ، ويضطبع في كل أشواط الطواف ، كما فعل
رسول الله ﷺ^(٢) .

والاضطباع أن يجعل وسط الرداء تحت إبطه الأيمن
وطرفه على عاتقه الأيسر ، ويدعو بما شاء في الطواف ،
ويقول بين الركن اليماني والحجر الأسود ﴿ رَبَّنَا آئِنَا
فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

(١) أخرجه الطبراني ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح - المعجم
الأوسط ، رقم ٥٤٨٦ و ٥٨٤٣ .
(٢) مسند أحمد ٤/٢٢٣ ، سنن الترمذي رقم ٨٥٩ ، وقال: حسن صحيح .

[البقرة : ٢٠١] ^(١) .

ثم يصلي ركعتين خلف مقام إبراهيم ، يقرأ في الأولى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ وفي الثانية ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(٢) .

السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة

ثم يسعى الحاج والمعتمر بين الصفا والمروة سبعة أشواط ، يبدأ بالصفا ويختم بالمروة ، ويسن له إذا أقبل على الصفا أن يقرأ قول الله تعالى ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ ^ط فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(٣) [البقرة : ١٥٨] ، ويصعد على الصفا ويقف مستقبل

(١) مسند أحمد ٣/٤١١ ، المستدرک ١/٤٥٥ ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٢) صحيح مسلم ، رقم ١٢١٨ .

(٣) صحيح مسلم ، رقم ١٢١٨ .

القبلة رافعا يديه ويكبر الله تعالى ويحمده ويقول (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده) ، يقول ذلك ثلاث مرات يدعو بينهن بما شاء^(١) ، ثم يسعى إلى المروة ، ويسن للرجل أن يسرع في مشيه بين العلمين الأخضرين^(٢) ، إن لم يتأذ أو يؤذ أحدا ، فهذا هو الشوط الأول ، فإذا صعد على المروة استقبل القبلة ورفع يديه وقال مثل ما قال على الصفا .

صفة الحلق والتقصير في الحج والعمرة

يُقَصَّرُ المعتمر من شعر رأسه كله ، وتَقَصَّرُ المرأة منه قدر أمثلة ، وبهذا يكون المعتمر قد أكمل عمرته ، فيباح له ما كان محرما عليه أثناء العمرة ، وفي الحج يخلق الرجل أو

(١) صحيح مسلم ، رقم ١٢١٨ .

(٢) مسند أحمد ٤٢١/٦ .

يقصر ، والحلق أفضل ، وتقصر المرأة من شعرها كالعمرة.

الإحرام بالحج

إذا كان يوم التروية - وهو اليوم الثامن من ذي الحجة - أحرم من يريد الحج بالحج من مكانه الذي هو نازل فيه، ويسن له أن يكون في منى هذا اليوم ويصلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر قصرًا من غير جمع كما فعل رسول الله ﷺ^(١).

الوقوف بعرفة

فإذا طلعت الشمس من اليوم التاسع سار إلى عرفة ويصلي بها الظهر والعصر ركعتين ركعتين جمع تقديم، ثم يتفرغ للدعاء والذكر حتى غروب الشمس ، كما فعل رسول الله ﷺ^(٢) ، فالدعاء يوم عرفة هو خير الدعاء، كما قال رسول الله ﷺ: « خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير

(١) صحيح مسلم ، رقم ١٢١٨ .

(٢) صحيح مسلم ، رقم ١٢١٨ .

ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
قدير»^(١) .

وينبغي أن يكون الحاج في هذا اليوم في غاية
الخشوع والخضوع لله تعالى والتذلل بين يديه واستحضار
عظمته وقربه من عباده المتقين، وأن يكثر من الدعاء
والذكر، وأن يكرر الأدعية ثلاث مرات، ويدعو بجوامع
الدعاء ، ويستقبل القبلة ، ويرفع يديه ، كما فعل النبي ﷺ
في هذا اليوم^(٢) .

ومن الأدعية الواردة التي يمكن للحاج أن يدعو بها
في ذلك اليوم أن يقول : (اللهم لك الحمد كالذي تقول
وخيراً مما نقول ، اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي، ولك رب تراثي ، اللهم إني أعوذ بك من عذاب

(١) أخرجه الترمذي وحسنه - سنن الترمذي ، رقم ٣٥٨٥ .

(٢) صحيح مسلم ، ١٢١٨ .

القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر ، اللهم إني أعوذ
بك من شر ما تجري به الرياح ، اللهم إني أسألك بأن
لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض
يا ذا الجلال والإكرام أسألك بأنك أنت الله الواحد
الأحد الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوًّا أحد ، وأسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ،
وأسألك الهدى والسداد ، وأسألك الثبات في الأمر ،
والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك وحسن
عبادتك ، وأسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا وأسألك من
خير ما تعلم وأستغفرك لما تعلم وأنت علام الغيوب ،
اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت
منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما
علمت منه وما لم أعلم ، اللهم إني أسألك من خير ما
سألك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ ، وأعوذ بك من شر
ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ ، اللهم إني
أسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول وعمل ، وأسألك أن

(١٠٤)

تجعل كل قضاء تقضيه لي خيراً ، اللهم إني أسألك
موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر
والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة، والنجاة من النار ،
اللهم لاتدع لي ذنباً إلا غفرته ولاهماً إلا فرجته ولا ديناً
إلا قضيته ولا حاجة فيها لك رضا إلا قضيتها ، يا أرحم
الراحمين ، اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر
الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي
إنك أنت الغفور الرحيم ، اللهم أنت الملك لا إله إلا
أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي ظلماً كثيراً
ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك
وارحمي إنك أنت الغفور الرحيم ، اللهم اغفر لي ذنوبي
جميعاً واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا
أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت،
ليبك وسعديك والخير كله بيدك ، والشر ليس إليك،
تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم إني
أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق

(١٠٥)

في الغضب والرضا ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ،
وأسألك نعيمًا لا ينفد وقرّة عين لا تنقطع ، وأسألك
الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى
وجهك الكريم والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرّة
ولا فتنة مضلة ، اللهم زيّننا بزينة الإيمان واجعلنا هداة
مهتدين غير ضالين ولا مضلين، سلمًا لأوليائك ، حربًا
لأعدائك ، نحب بحبك من أحبك ونعادي بعداوتك من
عاداك أو خالفك ، اللهم اغفر لي مغفرة تُصلح بها شأني
في الدارين وارحمي إنك أنت الغفور الرحيم ، وتب علي
توبة نصوحًا لا أنكثها أبدًا ، ووقفني سبيل الاستقامة لا
أزيغ عنها أبدًا ، اللهم انقلني من ذل المعصية إلى عز
الطاعة، وأغنني بجلالك عن حرامك وبطاعتك عن
معصيتك وبفضلك عمن سواك ونور قلبي وقبري
وأعدني من الشر كله واجمع لي الخير كله .

اللهم إنك ترى مكاني ، وتسمع كلامي، وتعلم
سري وعلانيتي ، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا

(١٠٦)

البائس الفقير المستغيث المستجير ، الوجل المشفق المقر
المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك
ابتهاال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، مَنْ
خضعت لك رقبتة ، وذلك لك جسده ، وفاضت لك
عيناه، ورغِمَ لك أنفه ، يامن لا يشغله سمع عن سمع ،
ولاتشبهه عليه الأصوات ، يامن لا تغلظه المسائل ، ولا
تختلف عليه اللغات ، يا من لا يبرمه إلحاح الملحين،
ولاتضجره مسألة السائلين، أذقنا برد عفوك، وحلاوة
مغفرتك ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم أني أسألك أن ترزقني في هذا المكان جوامع
الخير كله ، وأن تصلح لي شأني كله ، وأن تصرف عني
الشر كله فإنه لا يفعل ذلك غيرك ولايجود به إلا أنت .
اللهم يارفيح الدرجات ويا منزل البركات ويا فاطر
الأرضين والسموات ، يامن ضجَّت إليه الأصوات
بصنوف اللغات تسأله الحاجات وحاجتي أن لاتنساني في
دار البلاء إذا نسيني أهل الدنيا .

(١٠٧)

إلهي إن ذنوبي وإن كانت عظاماً فإنها صغار في
جنب عفوك فاغفرها لي .

إلهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني
الرجاء الذي عرفتنيه .

اللهم قد أصبحت في يوم حرام في بلد حرام، في
شهر حرام ، أسألك أن لاتجعلني أشقى خلقك المذنبين
عندك ولا أخيب الراجين لديك ولا أحرم الآملين
لرحمتك الزائرين لبيتك ولا أخسر المنقلين من بلادك .

اللهم قد كان من تقصيري ما عرفت ومن توبيقي
نفسي ما قد علمت ومن مظالمي ما قد أحصيت فكم من
كرب قد نجيتَ ومن عمى قلب قد جليتَ وهمٌ قد
فرجت ودعاء قد استجبت وشدة قد أزلت ورجاء قد
أنلت، منك النعماء وحسن القضاء ومني الجفاء وطول
الاستقصاء والتقصير عن أداء شكرك .

اللهم فأدعوك راغباً ، وأنصب لك وجهي طالباً
وأضع خدي مذنباً راهباً ، فتقبّل دعائي وارحم ضعفي

وأصلح الفساد من أمري واقطع من الدنيا همي واجعل
فيما عندك رغبتني في أن أكون من المغفور ذنبهم المحطوط
خطاياهم المحو سيئاتهم المرشود أمرهم واجعل لي
منقلب من لا يعصي لك بعده أمراً ولا يأتي بعده مأثماً
ولا يركب بعده جهلاً ولا يحمل بعده وزراً ، منقلب من
عمرت قلبه بذكرك ولسانه بشكرك وطهرت الأدناس من
ذنوبه واستودعت الهدى قلبه وشرحت بالإسلام صدره .
اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة ، وهذا الجهد ..
وعليك التكلان (١) .

المبيت بمزدلفة

ثم بعد غروب الشمس من يوم عرفة يدفع الحاج
إلى مزدلفة ، فيصلي بها المغرب والعشاء جمع تأخير مع

(١) تم اقتباس هذه الأدعية من كتاب « هداية الناسك إلى أهم المناسك »
لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله تعالى .

قصر العشاء ، كما فعل رسول الله ﷺ^(١) ، فالسنة تأخير المغرب وجمعها مع العشاء ، إلا أن يخشى خروج وقت العشاء بمنتصف الليل فإنه يجب عليه أن يصلي قبل خروج الوقت في أي مكان كان .

ويبيت بمزدلفة ويصلي فيها الفجر ، ثم يدعو إلى أن يسفر جدًا ، ثم يدفع إلى منى قبل طلوع الشمس، كما فعل رسول الله ﷺ^(٢) .

ويجوز للضعفة من الرجال والنساء أن يدفعوا من مزدلفة في آخر الليل بعد غروب القمر^(٣) .

وقد أفتى بعض العلماء المعاصرين بجواز الدفع من مزدلفة إلى منى بعد منتصف الليل لعموم الحجاج، وذلك لوجود الزحام الشديد والمشقة الكبيرة في الدفع بعد فجر

(١) صحيح مسلم ، رقم ١٢١٨ .

(٢) صحيح مسلم ، رقم ١٢١٨ .

(٣) صحيح البخاري ، رقم ١٦٧٩ ، صحيح مسلم ، رقم ١٢٩١ .

يوم النحر، ولأن كل مجموعة من الحجاج قد ارتبط
بعضها ببعض في حملة واحدة ، وفي ذلك تيسير على
الحجاج، ولكن يبقى الأفضل هو أن لا يدفع من مزدلفة
إلا قبل طلوع الشمس من يوم النحر .

السير إلى منى والنزول بها

فإذا وصل الحاج إلى منى قام بالأعمال التالية :

أولاً : رمي جمرة العقبة ، وهي الجمرة الكبرى التي في منتهى منى من جهة مكة ، يرميها بسبع حصيات صغار أكبر من الحمص قليلا ، يكبر مع كل حصاة، ويرمي من بطن الوادي إن تيسر^(١) ويرمي بعد طلوع الشمس يوم النحر ، ويجزئ بعد نصف الليل من ليلة مزدلفة للذين دفعوا في ذلك الوقت من مزدلفة .

ثانياً : يذبح هديه إن كان الهدي واجبا عليه .

ثالثاً : يحلق رأسه إن كان رجلا أو يُقصره ، والحلق أفضل لأن النبي ﷺ حلق رأسه ، ونُقصر منه المرأة قدر أمثلة .

وبهذا يكون قد تحلل التحلل الأول ، فيحل له

(١) صحيح مسلم ، رقم ١٢١٨ .

كل شيء كان محرماً عليه إلا النساء لقول رسول
الله ﷺ «إذا رميتم وحلقتم فقد حل لكم كل
شيء إلا النساء»^(١) .

فالتحلل الأول يحصل بأداء نسكين من ثلاثة:

١ - الرمي .

٢ - الحلق أو التقصير .

٣ - الطواف والسعي .

رابعاً : الطواف بالبيت ، وهو طواف الإفاضة ، كما فعل
رسول الله ﷺ ؛ حيث أفاض إلى البيت فصلى
بمكة الظهر^(٢) .

ثم يسعى بين الصفا والمروة إن كان متمتعاً ، أو كان
مفرداً أو قارئاً ولم يكن سعى بعد طواف القدوم ، أما إذا
كان مفرداً أو قارئاً وسعى بعد طواف القدوم فإنه لا يعيد

(١) مسند أحمد ٦/١٤٣ ، صحيح ابن خزيمة رقم ٢٩٣٧ .

(٢) صحيح مسلم رقم ١٢١٨ .

السعي^(١) ، فإذا فعل ذلك حلَّ من كل شيء كان محرماً عليه ، كما جاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في صفة حج النبي ﷺ « .. وأفاض فطاف بالبيت ، ثم حلَّ له كل شيء كان حَرْمَ منه »^(٢) .

وهذه الأنسك التي تُفعل يوم العيد هي على الترتيب المذكور ولكن لا حرج في تقديم بعضها على بعض لما أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما « أن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع فجعلوا يسألونه ، فقال رجل : لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح ، قال: اذبح ولا حرج، فجاء آخر فقال : لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي ، فقال: ارم ولا حرج، فما سئل يومئذ عن شيء قُدِّم ولا أُخِّرَ ألا قال: افعل ولا حرج »^(٣) .

-
- (١) صحيح مسلم رقم ١٢١٥ .
(٢) صحيح البخاري ، رقم ١٦٩١ .
(٣) صحيح البخاري ، رقم ١٧٣٦ ، صحيح مسلم ، رقم ١٣٠٦ .

المبيت بمنى ورمي الجمرات

يمكث الحاج في منى بقية يوم العيد وأيام التشريق ولياليها ، ويلزمه المبيت بمنى ليلة الحادي عشر وليلة الثاني عشر ، وليلة الثالث عشر إن تأخر، ويرمي الجمرات الثلاث في كل أيام التشريق كل واحدة بسبع حصيات متعاقبات ، يكبر مع كل حصاة ، فيرمي الجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف وهي الصغرى، ثم يتقدم فيستقبل القبلة ويدعو طويلاً رافعاً يديه ، ثم يرمي الجمرة الوسطى ، ثم يتقدم فيستقبل القبلة ويدعو طويلاً رافعاً يديه ، ثم يرمي جمرة العقبة فينصرف ولا يقف للدعاء بعدها، هكذا فعل رسول الله ﷺ ، وقال قال «خذوا عني مناسككم»^(١) .

وابتداء الرمي بعد الزوال إلى الغروب، ولكن أفتى بعض العلماء بجواز الرمي ليلاً لأن النبي ﷺ حدد أوله

(١) صحيح مسلم رقم ١٢٩٧ .

بفعله ولم يحدد آخره ، ولقوله ﷺ « لا حرج » في جواب من قاله « رميت بعدما أمسيت » والمساء يكون آخر النهار وأول الليل ، وذلك فيما عدا اليوم الثالث عشر فإن وقت الرمي ينتهي بغروب الشمس لأن ليلة الرابع عشر ليست من ليالي الحج .

ومن لم يبت في منى ليلتين إن تعجل أو ثلاث ليال إن تأخر فعليه دم ، أما إن ترك المبيت ليلة فعليه إطعام مسكين وإن ترك المبيت ليلتين بالنسبة لمن تأخر فعليه إطعام مسكينين، أما إن فاته المبيت بعض الليل لكونه نزل إلى مكة لقضاء حجه فلا شيء عليه .

فإذا أدركه غروب الشمس في اليوم الثاني عشر وهو في منى لزمه البيات والرمي من الغد ، لما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال « من أدركه المساء فإنه يلزمه البقاء »^(١) وذلك فيما إذا كان قد بقي باختياره ، أما إذا

(١) سنن البيهقي ١٥٢/٥، وصححه النووي - المجموع ٢٨٣/٨ .

عزم على الرحيل وبدأ بالمسير ثم حبسه حابس فلا يلزمه
البقاء .

ويحصل التعجل بنية مغادرة منى والخروج منها إلى
مكة، ولا بد أن تكون النية في نهار اليوم الثاني عشر، أما
الخروج فإن الجمهور أوجبوه قبل غروب الشمس من
ذلك اليوم ، وأجاز الأحناف الخروج من منى قبل طلوع
فجر اليوم الثالث عشر مع الكراهة^(١) ، وهذا القول فيه
تيسير على المسلمين ، وهو قول وجيه ، خصوصا بعد
إفتاء العلماء بجواز رمي الجمرات ليلا ؛ حيث إن القول
بوجوب الخروج من منى قبل الغروب يبعث على الزحام
في رمي الجمرات في النهار ولا يتيح الفرصة للرمي في
الليل .

ويمكن الأخذ بهذا القول في حال تعرض الحاج

(١) ينظر كتاب « إرشاد الساري إلى مناسك الملا على القاري » ص
١٦٣ ، وكتاب « الفقه الحنفي في ثوبه الجديد » ٤٩٦/١ ، للشيخ
عبد الحميد محمد طهماز .

للمشقة في الخروج قبل غروب شمس اليوم الثاني عشر؛
وذلك فيما إذا كان الرمي يشق عليه في النهار كحال
بعض النساء وكبار السن ، ففي هذه الحال ينوي الحاج
التعجل في النهار ويخرج في ليلة الثالث عشر بعد الرمي .
وقد أفتى بعض العلماء المعاصرين بجواز الخروج
من منى عدة أمتار بعد رمي جمرة العقبة في النهار، ليجمع
الحاج بين نية التعجل والخروج من منى قبل غروب
الشمس، ثم يعود إلى منى ويخرج منها متى شاء في الليل،
وهذا اجتهاد منهم في إتاحة الفرصة لمن يريد التعجل
ولا يستطيع أن يخرج من منى في النهار، وهذا لا ينبغي
الأخذ به لأنه نوع من التحايل للخروج من منى بعد
غروب الشمس والشرع يقوم على الحقيقة لا على
التمثيل، والأولى من ذلك الأخذ بقول الأحناف في جواز
الخروج من منى ليلة الثالث عشر لمن لم يتمكن من
الخروج في النهار .

وقول عمر رضي الله عنه السابق - إن ثبت -
محمول على من لم ينو التعجل في نهار اليوم الثاني عشر؛
ذلك لأن هذه الحال وهي عدم المقدرة على الخروج من
منى في نهار ذلك اليوم أو عدم المقدرة على الرمي في
النهار لم تكن موجودة في ذلك العصر لعدم وجود الزحام
الشديد الذي يوجد في العصر الحاضر .

فإذا احتاج الذي نوى التعجل إلى المبيت ليلة
الثالث عشر ، لكونه مكلفا بعمل أو ليكون مع رفقته
ونحو ذلك فإن نية التعجل قد انقطعت ويلزمه البقاء في
منى ورمي الجمرات في اليوم الثالث عشر بعد الزوال، ثم
يخرج من منى متى يشاء .

وقد طبق بعض العاملين في منى هذه الفتوى خطأ
حيث يخرج الواحد منهم من منى عدة أمتار بعد رمي
جمرة العقبة بنية التعجل ثم يعود إلى منى ويبيت ليلة
الثالث عشر ولا يرمي الجمرات في ذلك اليوم ، وهذا
مخالف لعمل النبي ﷺ ؛ حيث بقي اليوم الثالث عشر

ورمي الجمرات ، ولايسقط عن الحاج نية التعجل والخروج من منى عدة أمتار وجوب رمي الجمرات في اليوم الثالث عشر ما دام قد بات في منى ليلة ذلك اليوم ، وهذا العمل يتنافى مع قول الله عز وجل ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ لأن هذا الحاج قد أسقط رمي الجمرات في اليوم الثالث عشر فلم يتم حجه بالكامل .

ولايجوز للحاج أن يُنيب غيره في الرمي عن نفسه إلا إذا كان عاجزا عن الرمي ، لأن الرمي عبادة ، والأصل أن الإنسان يباشر العبادة بنفسه ، وإذا توكل الإنسان في الرمي عن غيره فإنه يرمي عن نفسه أولاً ثم يرمي عن موكله فيعيّنه بالنية فقط أو بالنية واللفظ جميعاً .

طواف الوداع

فإذا انتهى الحاج من أعمال الحج وأراد السفر إلى بلده فعليه أن يطوف بالبيت للوداع سبعة أشواط ، لحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما « أمر الناس

أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خُفّف عن الحائض»^(١).

محظورات الإحرام

١ - إزالة الشعر من الرأس بخلق أو غيره ، لقول الله

تعالى ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾

[البقرة: ١٩٦] وألحق جمهور العلماء به شعر بقية

الجسم.

٢ - إزالة الأظافر من اليدين أو الرجلين ، وقد ألحقه

جمهور العلماء بالشعر لوجود الترفُّه في الأمرين.

٣ - استعمال الطيب بعد الإحرام في البدن أو الثوب أو

المأكل أو المشروب .

٤ - لبس القفازين ، وهما ما يلبس على الكفَّين.

٥ - مباشرة النساء لشهوة .

٦ - تغطية الرأس بملاصق .

(١) صحيح البخاري، رقم ١٧٥٥ ، صحيح مسلم ، رقم ١٣٢٨ .

٧ - لبس المخيط ، كالقميص والسراويل والخفين ،

وهذان خاصان بالرجال .

٨ - تغطية الوجه ، وهذا خاص بالنساء .

وفدية هذه المحظورات الثمانية على التخير ،

فيخير من وقع فيها بين صيام ثلاثة أيام أو إطعام

سته مساكين أو ذبح شاة .

٩ - الجماع في الفرج ، فإن كان قبل التحلل الأول ترتب

عليه أربعة أمور : الأول : فساد النسك، والثاني:

وجوب المضي فيه ، والثالث : وجوب قضائه في

العام القادم ، والرابع : وجوب الفدية وهي بدنة.

وإن كان بعد التحلل الأول ترتب عليه ثلاثة

أمور:

الأول : فساد الإحرام، والثاني : وجوب الخروج

إلى الحلال ليحرم منه ، والثالث : وجوب الفدية ،

وهي شاة.

١٠ - عقد النكاح ، وليس فيه فدية ، ولكن النكاح

(١٢٢)

يفسد ، سواء كان المحرم الزوج أو الزوجة أو
الولي أو وكيله فيه .

١١ - قتل الصيد البري في أصله وإن استوطن مكة
كالحمام ، إذا كان هذا الصيد مما يؤكل لحمه،
وعليه جزاؤه وهو ذبح مثله ويفرقه على فقراء
الحرم أو يُقوم هذا المثل بطعام يفرقه على فقراء
الحرم ، أو يصوم عن إطعام كل مسكين يوما .

حكم فاعل هذه المحظورات :

لفاعل المحظورات السابقة ثلاث حالات :

الأولى : أن يفعل المحذور بلا حاجة ولا عذر، فهذا
آثم وعليه فديته .

الثاني : أن يفعله لحاجة ، فليس بآثم وعليه فديته،

كما قال الله تعالى ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ ۖ

فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

وقد ابتدأها الله سبحانه بالأسهل، أما الأفضل فهو

النسك ثم الصيام أو الإطعام ومما يدل على ذلك حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه الذي أخرجه الإمام البخاري من طريق عبد الله بن مغفل قال: قعدت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد- يعني مسجد الكوفة- فسألته عن فدية من صيام، فقد: حملتُ إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا، أما تجد شاة؟ قلت: لا، قال: صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك» فنزلت في خاصة وهي لكم عامة^(١).

الثالث : أن يفعله وهو معذور بجهل أو نسيان أو

إكراه أو نوم فلا إثم عليه ولا فدية لقول الله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة : ٢٨٦] فقال الله : « قد فعلت »^(٢) ولقول رسول الله ﷺ : « إن الله

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، حديث رقم ٤٥١٧.

(٢) صحيح مسلم ، رقم ١٢٦ .

تعالى تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكروهوا
عليه^(١) ، ولكن متى زال العذر فعلم بالمحذور أو ذكره أو
زال إكراهه أو استيقظ من نومه وجب عليه التخلي عنه
على الفور .

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين^(٢) .

(١) سنن ابن ماجه ، رقم ٢٠٤٣ ، وصححه ابن حبان ، رقم ٧٢١٩ .

(٢) أهم مراجع هذا الملحق كتاب « الشرح الممتع على زاد المستقنع »
ورسالة « صفة الحج » لسماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين
رحمه الله تعالى .

(١٢٦)

تعديل من مقاصد الحج ١١/٣/١٤٣٧ هـ

فهرس الموضوعات

ص	الموضوع
٥	المقدمة
٧	الكعبة المشرفة والحج في التاريخ القديم
٢٦	تعظيم مكة المكرمة والمشاعر المقدسة
٤٢	إقامة ذكر الله عز وجل
٥٥	الهدف الأعلى للمسلم
٥٦	المساواة بين المسلمين
٥٧	التذكير بالآخرة
٦٢	إظهار عزة الإسلام
٦٥	تقوية الإيمان بالله عز وجل
٧٢	تهذيب الأخلاق
٨٠	التعارف بين المسلمين
٨٥	تثبيت الأخوة الإسلامية
٨٦	توجيهات لما بعد الحج
٩٣	ملحق في بيان أحكام الحج وصفته

٩٥	أنواع النسك
٩٧	الإحرام بالحج والعمرة
٩٨	الطواف في الحج والعمرة
١٠٠	السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة
١٠١	صفة الخلق والتقشير في الحج و العمرة
١٠٢	الإحرام بالحج
١٠٢	الوقوف بعرفة
١٠٩	المبيت بمزدلفة
١١٢	السير إلى منى والنزول بها
١١٥	المبيت بمنى ورمي الجمرات
١٢٠	طواف الوداع
١٢١	محظورات الإحرام
١٢٣	حكم فعل هذه المحظورات